عدي عدنان البلداوي

ما بعد كورونا Covid 19

هل يغيّر العالم مناخه ..؟

دراسة في صناعة الوعي

ما بعد كورونا
هل يغيّر العالم مناخه .. ؟

دراسة في صناعة الوعي

عدي عدنان البلداوي

الكتاب: ما بعد كورونا .. هل يغير العالم مناخه .؟
دراسة في صناعة الوعي
الكاتب: عدي عدنان البلداوي
سنة الطبع : ٢٠٢١م
الطبعة : الاولى
جهة الطبع: مؤسسة البلداوي للطباعة
حقوق الطبع محفوظة ولا يجوز نقل او نسخ او طبع
اي جزء من الكتاب بدون اذن خطي من الكاتب.

المحتوى

تقديم ١
منظومة المال والاعمال ٦
عالم الأشياء ٨
النظام الرقمي ١٧
بين لغة الأرقام ولغة السلام ٢٣
الوعي الذاتي ٣٠
الحوكمة والعولمة والرقمنة ٣٦
الموظف الاصطناعي ٤١
صور غير مشرقة للتغيير الحقيقي ٤٨
بين ارشفة الماضي ورقمنة المستقبل ٥١
الاعتذار بين تسليع الضمير ورقمنة المفهوم ٥٦
حول مستقبل العالم الثالث ٦٠
اجراءات تخويفية واجراءات تثقيفية ٧٢
(ان ابراهيم كان امة) ٧٦
التحكم بالطقس ٨٢
غياب الثقة ٨٧
لماذا ازدادت معاناتنا في زمن تطور وسائل الاتصال والمعرفة ٩٠
من اجل الابقاء على اوهام الجماهير ٩٦
خداع الناس ٩٨
بين وفرة المعرفة وغياب القيمة العلمية ١٠١
الخطاب الديني والخطاب السياسي ١٠٥
الاعلام السلبي ١١٠
التزييف العميق ١١٩
البيئة الاصطناعية ١٣٠
هل تسهم التظاهرات في تغيير الواقع ١٣٥
لكل انسان رسالة ١٤٣
الالم والامل ١٤٦
الامن الافتراضي وظهور الفيروسات ١٤٨
التعليم الالكتروني بين اقصاء التربية وإخصاء المعرفة ١٥٢
(اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) ١٧١
دعوات الانبياء والاعراف الاجتماعية ١٧٧
الدين الكوني ١٨٣

تقديم..

يتحرّك الإنسان في محيط كوني واسع يمكّنه من تطوير نفسه أو تصغير حجمه ، تبعا لتكوينه البيولوجي والسيكولوجي والإيديولوجي والثقافي ، فهو يختلف عن الكائنات الحية الأخرى في انّه لا يقتصر على بيئة معينة أو على وسط محدّد . وهو يستطيع ان يتعلّم كثيرا من الثقافات وأن يكون عالمياً وهو يعيش في وسطه الإجتماعي والثقافي الخاص ، كما يمكنه ان يصبح أمّة في عطائه ..

نشهد في عالمنا اليوم زخماً كبيراً من المعلومات ، وحشداً اعلامياً واسعاً ، وتغطيات اخبارية متواصلة ، ونشرات إقتصادية وتقارير سياسية متنوعة ولقاءات موسعة وحصرية وخاصة ، اسهم كل ذلك في تشويش الرؤية وعدم وضوح صورة المشهد الحياتي الذي يعيشه الناس بشكل اخذ معه عامل الثقة يتدارى في الخلف أو يختفي في كثير من المشاهد ، ففي حياة كثيرين منّا ،

تقــف ظروف وضغوطات عامة واخرى خاصة عائقــا أمام تمكين الشــخص من إيجاد فسحـــة أو وقـــت للتأمل والتفكير ، أو فرصة للكشـف عن الحقـائق والوصول اليها ، ونتيجة لذلك فهو يعيش حـــالة القـــلق ، وكلّما مرّ عليه الوقت وهو على هذه الحالة ، نفد صبره ، وكلما قـلّ رصيد الصبـر اصيب يقـــينه بـــالوهن ، وهو ما يعرّض منظومته البـــــايولوجية الى ضعف في المناعة يهدّد ســـــلامة واستقـلالية التفكير فيه ويعرّض قـــراراته الى المجازفة دون دراية كافية تاركا المجال للوقت كي يحـكم على صواب تلك القرارات من عدمه ، وفي كل الأحوال يتحمل وحـده والذين يعنيهم الأمر تبعات تلك القـرارات على الرغم من دور البـيئة والظرف المكاني والزماني المحلي أو الاقـليمي أو الدولي في وصوله الى هذه النتائج .

على الرغم من سـهولة توفر المعلومة التي يتصف بـها عصرنا الحـــالي ، تصدّعت منظومة القـــيم والأعراف في المجتمع وتعرّض الذوق الى الطعن في جمالية النفـس ، وغلـب علـى صناديق الإقـــتراع في العالم العربـــــي صعود كثيرين من اصحـاب التفكير المحـدود والكفاءات المتعثرة ، واخذ العالم

يتجه صوب سوق العمل والإقتصاد وانتاج السلع وبرامج تحقيق الثروات المالية ، واخذت حقوق كثيرين تضيع في عالم الأرقام المجرّد الخالي من المشاعر الإنسانية ، عدا تلك المصطنعة والمعلبة التي ينتج عنها مشاريع مساعدات مقصودة لكسب الزبائن والمعجبين والعملاء للعمل في مشروع استثماري اقتصادي أو ثقافي أو سياسي .

يتحرك العالم اليوم في اتجاه نظام جديد تهيأت له ظروف التطور التكنلوجي في مجال المعلومات وعلوم الحياة والبحث عن مصادر الطاقة . وتمكنت وسائل الاتصال والتقنيات الرقمية الحديثة من جمع معلومات كثيرة عن الناس على اختلاف اماكنهم واعمالهم وعلاقاتهم وافكارهم ومعتقداتهم واصبحت هذه المعلومات الهائلة في متناول جهات وشركات هيأت للعالم اجواء نشطة لإعادة النظر في منظومة العالم عموماً ومنظومة المال والأعمال خصوصاً ، لكن جانباً خفيًّا لهذه الأجواء يقف وراء تذليل العقبات التي تحول دون مواكبة الإنسان للتطور في مجالات العلم والإنتاج والإتصالات يكمن في تحرير السلعة وتسليع الإنسان،

فبالتزامن مع ظهور وبـاء كورونا وانتشـاره عالمياً ظهرت آراء وتحـليلات وتوقـعات لعالم ما بـعد كورونا . فقـد ظهرت هنا وهناك تصريحات اعلامية لمسؤولين في دول كبرى تتحدث عن عالم بعد كورونا يختلف عن عالم اليوم . وفي مقاطع فديو اظهر بعض المتحدثين تشاؤماً وقلقـاً بـخصوص المستقبـل الذي تصوروه اكثر تقـييداً لحـــريات الناس واكثر ســـيطرة لذوي النفوذ والأموال الطائلة . مستقبـل بـدا في اســـتطلاع لآراء بعض الناس انه الأصعب معاشياً مقارنة بالوضع الحالي ، وبدا على وفق رؤى اقتصاديين ومفكرين ومثقـفين وعلماء ، انه مستقبل تقني رقمي يتحكم بكل شيىء حـتى المشـاعر والأعصاب ، ومضى بـعض علماء النفس محـذرين ومنذرين من عاقبـــــة الطريق الذي تمضي فيه ادارة المال والأعمال والسياســة في انه قـد ينذر بـنهاية البشـرية وحـلول كوارث عالمية غير طبـــيعية . الإنســـانية هويةٌ من حـــق الجميع الحصول عليها . والعلم ثروةٌ من حق الجميع الحـصول عليها. والدين روح من حـــق الجميع الاتصال بـــها. والأخلاق إطار إجتماعي عالمي من واجب الجميع البحث عن حرياتهم في

حدودوه..

تؤكد وصايا الأنبـــياء وحـــكم العلماء ودعوات المصلحـــين وجهود الصالحين على إعطاء الإنسان بـمنظومته الإنسـانية الأخلاقية العقلية النفسية اهتماماً قائماً على كونه محور فهم ونمو وتطور الحياة ، لكن مشاريع (المواطن الرقمي) و (عالم الأشياء) وغيرها ، التي يعتقد خبراء ومحللون انها ستشـكل مستقبـل العالم بـعد عقـد او اكثر من السـنين ، سـيعرّض البشرية لمرحـلة ملل وتذمُّر واسـتياء من شـأنها ان تسبـب انفجارا عنيفاً قد يودي بالحـياة الى نهاية مؤلمة . وسـط هذه الأجواء تظهر الحاجة الى صناعة الوعي وسـتكون تنمية هذه الصناعة امراً ملحًّا كي يتمكن الناس من مواكبـــــة تطور الصناعات المادية ، فمن شـــأن صناعة الوعي انها تنتج كائناً ذاتي التطوّر يمكن انسـنته ولا يمكن رقـمنته . تحـتاج هذه الصناعة الى طاقـــة روحـــية يجري تحـــضيرها في الذات الإنســـــانية التي تفعّل اتصالاتها الثلاثية بـــــالله والنفس والمجتمع بمساعدة شبكة كونية وضع أسسها الأنبياء بشكل يمكننا ان نتطور من خلالها بوجود تقنيات العصر الحديثة.

عدي عدنان البلداوي

منظومة المال والأعمال ..

يعيش العالم اليوم نشاطاً كبيراً في إعادة النظر في منظومة المال والأعمال إثر ثورة العلم والتكنلوجيا ، هدفها زيادة الإنتاج وزيادة الأرباح من خلال توفير سلع خدمية ، بمواصفات أفضل وبسعر أقل . لاقى هذا النشاط ترحيباً واسعاً من قبل المستهلكين الذين هم بحاجة ملحّة الى انشطة اجتماعية ترتقي بهم الى مستوى الإحتفاظ بالكرامة ورفع قيمة الذات وتحسين مخرجات الأداء في المجتمع ، لكي لا يشعر المواطن بضآلته أمام حجم الإنتاج الكبير وتسارع التطور التقني وتراجع الأداء البشري الى مستوى الإستهلاك المادي ونقصان الطاقة الإيجابية في ظروف اقتصادية وامنية واجتماعية ونفسية غير مطمئنة دفعت كثيرين الى الإنتحار والإنحراف الأخلاقي والمتاجرة بالأعضاء والأعراض والقيم ..

هناك جانب تخفيه التقنية المتطورة وراء دعوات تحرير الإنسان من معوقات وقيود مواكبته التطور في مجالات العلم والإنتاج والإتصالات ، انَّه تحرير السلعة وتسليع الإنسان

بحيث يصبح الشغل الشاغل للفرد هو تأمين المال الكافي لشراء منتجات التقنية الحديثة وإعتماد العالم الإفتراضي مصدرا للحصول على المعرفة والمعلومات والبيانات ويتحدَّد دور الإنسان في كونه مستهلكا ومستخدماً ، فهل ينظر مستقبل الصناعة العالمية الى الإنسان على انه اصل من اصولها ، أم انه حلقة من حلقات الانتاج ؟

عالم الأشياء..

تزامناً مع انتشار وباء كورونا ، ظهرت آراء وتوقعات تتحدث عن تحرك العالم باتجاه نظام جديد تتحوّل فيه انظمة الحكم والناس الى مستثمرين وموظفين ومستهلكين يعملون لحساب شركات عالمية أو منظمات سرّية أو جهات محدّدة ، تموّلها رؤوس اموال طائلة تدير العالم سياسيا وإقتصادياً وثقافياً وصحياً وإجتماعياً بشكل يضمن سلامة انسيابية الحياة من دون مفاجآت غير مرغوب فيها ، مثل الثورات والتظاهرات والإحتجاجات والأفكار البنّاءة التي تهدف الى نهضة المجتمع وتحضّره وتطوّره بالشكل الذي يعرف فيه الشخص هويته ويبني شخصيته وقدرته على التفكير والإختيار .. نظام جديد يرى بعضهم انه يتعامل مع كل الموجودات على انها أشياء تنقسم الى نوعين : نوع جامد تمثّله الآلات والأجهزة الذكية والتقنيات الرقمية ، ونوع حي تمثّله مجموعة الإنسان والنبات والحيوان ، وتخضع جميع هذه الأشياء الى تقنية رقمية ذكية تربط بينها بشكل يخدم مشاريع الإستثمار والربح السريع والعرض والطلب ، ويندرج

الإنسان ضمن هذه الأشياء سواء بواسطة مشـاريع سياسـية واقتصادية وثقافية يقترحها المسيطرون على انظمة الحـكم في العالم حلا لكثير من المشاكل وفي مقـدمتها المشـاكل الصحية مثل فكرة شريحة الكترونية مرتبطة بشبـكة عالمية تقـوم بـعد زرعها في الجسـم بـتدوين معلومات مفصّلة عن الشخص ، مثل الحالة الصحية وتاريخ اصاباته والأمراض التي تعرَّض لها ، رقم جواز السفر ورقم البطاقـة التموينية ، ورقـم الهوية الشخصية ورقـم السـيارة وغيرها ، وصولا لى التحـكم بـالأعصاب والتحـكم في طريقـــة التفكير، وســـيتعامل هذا النظام الجديد - حسب بعض التوقـعات - مع الأفكار والتاريخ والدين والقـيم والأعراف الإجتماعية والإبـداع والفن وغيرها على انها سلع قابـلة للترويج لزيادة الطلب عليها ، أو سحبـها من الســـوق ، أو إعادة تصنيعها من جديد ، أو تحـــويرها ، أو تعديل مواصفاتها أو اخفائها نهائياً أو مرحلياً حسب مقـتضى الحـال . نظام يدير العالم عن طريق خوارزميات ومجموعات كبيرة من الأجهزة الذكية فائقة الدقة والسـرعة ، يخضع كل شـيء فيها الى لغة الأرقـــام .. ليس بوســـعنا اغفال كل هذه

التوقعات والآراء ، كما ليس بوسعنا تكذيبها ، لكننا نستشعر من خلالها بوجود حالة من الخوف والقلق وعدم الاطمئنان الى آلية عمل النظام العالمي الحالي المتمثل بسياسة القطب الواحد والسوق العالمية وتدويل رأس المال والشركات عابرة القوميات وغيرها من المسميات التي تركت وراءها مشاكل كبيرة في حياة الناس ، هدّدت واقعهم بالتلوث الى الحدّ الذي صارت نظرات كثيرين منهم قلقة تشاؤمية بسبب فقدان الثقة والإنقلاب على المعنى ، ويظهر ذلك بشكل واضح في العالم العربي ، ففي العراق يعاني المجتمع من استخدام السلطة لمعطيات متطورة مثل الانفتاح والإصلاح والتكاتف والإعمار ، بينما يغرق الواقع في الفقر والظلم والإنحراف والإنتحار والتشتت الأسري والبطالة والأمية والأمراض المزمنة وامراض السرطان والطبقية والإستغلال والإستغفال والتهميش. وبينما يعيش في البلاد قرابة عشرة ملايين جائع ، يقطع بعضهم شوارع البلاد بسيارات تزيد قيمة الواحدة منها على مئة الف دولار ويخرج رئيس البلاد الى عمله كل يوم ببدلة انيقة ، في الوقت نفسه

الذي تخرج فيه امرأة وصغارها بثيابهم الرثّة حاملين اكياسا فارغة متجهين بها صوب مكب النفايات يفتشون فيها عن علب فارغة وادوات يمكنهم بيعها كي يسدّوا بثمنها جوعهم الذي يفسره بعض المسؤولين على انه فقر ناتج عن سوء حال اولئك الناس وليس عن سوء ادارة البلاد .. في خضم معاناة الناس بسبب اجتياح وباء كورونا وما سبّبه من تعطيل للحياة وبسبب تردّي الوضع الإقتصادي بشكل عام في كثير من البلدان وخصوصا في عالمنا العربي ، وبسبب الصراع على السلطة ومشاريع استثمار المواطن لصالح الفوز في الإنتخابات وتردّي الخدمات ، وسط هذا الركام والبؤس يهنىء رئيس الجمهورية ابناء العراق على اختيار محافظة البصرة لإقامة موندیال خليجي ٢٥ معتبراً اياه مؤشرا على تعافي البلاد في حين لم تفلح الحكومات المركزية والمحلية المتعاقبة في حلّ مشكلة الماء الصالح للشرب في المحافظة لأكثر من عقد من السنين على حرية الإنتخاب وديمقراطية التمثيل النيابي والحكومي وكثرة المشاريع والاشخاص الذين يلهجون امام الكاميرات بتحسين واقع الناس وتوفير

احتياجاتهم .. استطاعت السياسة ان تنفذ الى الجماهير من خلال استثمار تراث وقيم وأدبيات يعتبرها الناس مواد خام اصليةً تدخل في بـــنيتها الإجتماعية ، وصدَّرت للجماهير إعلاما يقف عند مشاكلهم ومعاناتهم وطموحاتهم وادّعت تحركها في إطار الحملة الإنتخابية لتبني تلك الموضوعات ، حتى اذا ما وصلت الى السلطة انحرفت عن الجماهير ، وكلما مرّ بها الوقت داخل دائرة السلطة تعاظم نفوذها وتفاقمت معاناة الناس ..

ان مشكلة السلطة في العالم الناميً انها تتحرك في وسط جماهيري تجهل طبيعته أو تتجاهل طبيعته ، وهو ما يجعل انشطتها بعيدة عن واقع الحال ، قريبة من الأداء الإعلامي الروتيني الإستهلاكي ، وكلما كانت السلطة تتحرك في نظام طبيعي ، كانت اكثر مشروعية ومقبولية على ارض الواقع ، لكنها في الغالب تضع نفسها داخل قالب العلاقات الدولية وتحرص على تحسين تلك العلاقات ، فيأتي نشاطها على حساب علاقتها بالمجتمع ، هذا النوع من العمل السياسي يدفع باتجاه الحياة الإصطناعية للنظم الديمقراطية في

بلدان العالم الثالث المتحكم بـه عن بـعد في زمن التقـنيات المتطورة وشبكات العالم الإفتراضي ..

عرّف الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو ، القانون في كتابه (روح الشرائع) الذي صدر في القرن الثامن عشر سنة ١٧٤٨م بأنه:

(علاقـة بـين قـوى متفاعلة تؤثر في بـعضها البـعض ويتأثر بعضها ببـعض وهذه القـوى على نوعين فيزيائية ومعنوية او اخلاقية ، فالطبيعة ومبادىء الحـكومات والتعليم والضرائب والمناخ وعادات الأمة وتقاليدها وعدد السكان والدين السائد - كل تلك قـوى تتفاعل - والقـوانين ليسـت شـيئاً آخر إلا العلاقات التي تنتج عن ذلك التفاعل بشكل ضروري ..) (١)

ويرى مونتسكيو ان ما شُرّع بقانون يمكن تغييره بقانون ، امّا تشريع قانون يحرّم أو يجرّم سلوكا اجتماعياً نشـأ عن عادات واعراف وتقاليد اجتماعية فيراه تشريعاً تعسفياً ولا يؤدي الى التصحيح المطلوب وانما يتم اصلاح السلوكيات المرفوضة او التي تلحق ضرراً بـالآخرين عن طريق إشـاعة سـلوك جديد

١- قصة الانثروبولوجيا - د. حسين فهيم - ص٧٥- عالم المعرفة - الكويت - ١٩٨٥

يأخذ مسـاره في المجتمع كعرف بـديل . ومن الأمور التي خفيت على المشرعين في النظام العراقي أو لم تأخذ نصيبها في تفكيرهم ، مثلاً ان العادات والتقـاليد يحـكمها المناخ السـائد في البـلاد وهو مناخ غير مرن من حـيث التزامه بالمحافظة على تلك العادات والتقـاليد يضاف الى ان طبـيعة الشخصية العراقية لا تتوافر على الإستجابة للتغيير السريع أو التغيير القسري ، خصوصاً وانها ورثت تلك العادات والتقـاليد من أسـلاف امتاز مناخهم بسـلامة الحـياة ونظافتها وخلوها من الأضرار وهو ما يجعله متمسـكاً بـتلك العادات صلبـاً إزاء محاولات تغييرها او التخلي عنها ، فعلى سبـيل المثال اعتاد الناس في العراق على اطلاق العيـارات الناريـة فـي الأفـراح والمناسبـات وعلى الرغم من رفض المرجعية الدينية ذلك السلوك حدّ وصفه بـ(غير جائز شرعاً) ، ومعاقبة القانون عليه، وعلى الرغم من وضوح اضراره المادية في الواقـع إذ يعيش بين الناس كثير من الأشخاص الذين اصيبوا بالشلل بسبـب سقوط عيارات نارية طائشة اطلقها شخص في حفل زفاف او ما شابه وآخرين فقدوا حياتهم للسبب نفسـه ، مع كل هذا لا

يزال ذلك السلوك معمولاً به من قبل كثير من الناس . وما لم يستحدث الناس سلوكاً جديداً يشعرون معه انهم يعيشون النشوة نفسها في السلوك السابق فلن يتغير شيء . السلاح هو محور ذلك السلوك إذ يشعر الفرد وهو يستخدمه أن الفرحة تأخذ مداها المقبول في نفسه التي لا يشبعها الجانب العاطفي للفرح إلا اذا رافقه جانب مادي ، وعلى الرغم من وجود آلات موسيقية واصوات يبقى وجود السلاح له صداه الذي تألفه اذن العربي وتفرح له اساريره بحكم طبيعته وبيئته التي اورثته هذا السلوك الذي يعكس في احد جوانبه فاعلية الحس القبلي في مناخ المدينة . وكذلك الحال بالنسبة الى كثير من السلوكيات والعادات والأعراف التي باتت تهدد سكينة الحياة وتلوث جوَّها فقد كثرت في السنوات الأخيرة مشاكل وخلافات عشائرية لم تفلح لغة الحوار في الوصول بها الى شاطىء الأمان فوقعت مناوشات وتبادل للنيران ، دفع كثيرون حياتهم ثمنا لها ، ومع جهود المؤسسة الدينية في تهذيب هذه السلوكيات للحد من مخاطرها وعلى الرغم من ادراج الحكومة بعض هذه

السلوكيات ضمن قانون مكافحة الإرهاب في محاولة السيطرة عليها والحدّ من شيوعها الملفت في السنوات الأخيرة ، إلا انها لم تتأثر كثيرا وهو ما يستدعي المناداة بما يشبه حلف الفضول في الجاهلية وان كان حلفاً تجارياً إلا ان المراد من استحضاره اليوم هو ارتباطه بشؤون الناس وما كان يتمتع به هذا الحلف من اهتمام ورعاية واثر كبير في النفوس حتى انه حظي بثناء النبي الخاتم في الإسلام وامتدّ حضور هذا الحلف في حياة الناس الى امد بعيد ، فقد قيل انه نودي بحلف الفضول بعد ثمانين سنة من عقده فكان الناس اسرع تلبية له (كأن عهدهم به امس ، فكان جديداً لم تخلق جدته تلك السنون الثمانون التي تمخضت عن اعظم الحوادث الكبار: ظهور الشريعة الإسلامية ، وفتوح العرب وانقراض فارس وانكماش الروم..) و (هو حلف تجاري بمقدماته ونتائجه ، حفظ سمعة قريش وصان ازدهار أسواق مكة ، وأسدل عليها ستاراً من الإنصاف والأمن وحماية الضعيف بعد ان كاد الأمن فيها يتعرض للخطر ، وكادت حوادث الاعتداء على حقوق الضعفاء تزداد حتى أوشكت ان

تزعزع ثقة الأعراب وتجار النواحي بأسواق مكّة..) (١)

النظام الرقمي..

نظام جديد للعالم بشّر به بعضهم ، وتخوّف منه البعض الآخر، تزامن الحديث عنه أو الترويج له مع انتشار الوباء وإظهار الكيفية التي تصرفت بها بعض الدول الكبرى .. ففي مقطع فديو تناقلته وسائل التواصل الإجتماعي ، ظهر عدد من الكوادر الطبية في احدى مستشفيات بريطانيا يستخدمون اكياس النفايات بدلاً عن الملابس الواقية بسبب قلّة التجهيزات . وفي امريكا اعلن عمدة نيويورك عن احتمالية اخفاقهم اذا طال وقت نشاط الفيروس ، وفي الصين سمعنا عن تبليغ الجهات المعنية في كانون الأول من عام ٢٠١٩م منظمة الصحة العالمية عن ظهور اعراض لوباء غير مشخّص يخشى انتشاره ، ولم تتخذ امريكا ودول اخرى خطوات استباقية لمواجهة الوباء فيما لو ظهر ، من

١- اسواق العرب في الجاهلية والإسلام - سعيد الافغاني - بيروت ط٣ ص١٨١ - ١٩٧٤

اجل منع تعرّض الناس لمشاكل صحّية أودت بحياة كثيرين منهم ، وأفادت وسائل إعلام بإستيلاء دول رأسمالية كبرى على شحنات مساعدات طبية مرّت بمياهها متوجهة من دولة الى اخرى، وعن فقر يهدّد شرائح كبيرة في مختلف الشعوب جرّاء امد الحظر الصحي الذي اضرّ بمصالح ملايين الناس ممّن يعيشون على كسب قوتهم اليومي .. في امريكا اقدمت مطاعم خيرية على تقديم ملايين الوجبات للمتضررين ، وفي لندن تطوّع الاف الشباب والفتيات لتقديم العون لمن يحتاجه في العاصمة وضواحيها ، بينما اغفلت السلطات الامريكية رفع الحصار عن ايران في مثل هذه الظروف الإنسانية الصعبة . ولم تتوقف غارات السعودية على اليمن . وعلى الأراضي السورية كانت معارك الدول الكبرى وحسابات المال وصراعات الهيمنة ، تدور رحاها على الرغم من تفشي الوباء ، وسط هذه الفوضى، رأى بعضهم حاجة العالم الى نظام جديد ، لا تزال تفاصيله وصورته لم تأخذ صيغتها وشكلها الواضح المعلن ، لكن من الواضح جداً ان الشعوب بأمسّ الحاجة الى تفعيل البعد الأخلاقي في ادارة

العالم .. اذا كان العالم الإفتراضي سيسجّل حضورا مميزاً في النظام الجديد ، فإننا بحاجة الى تعريف جديد للحرية في أطر اخلاقية لا تهدّد سكينة البلدان وسلامتها ولا تعرّضها الى عسكرة حياتهم المدنية كما حصل في بعض البلدان العربية ، ففي الوقت الذي انتظر فيه الناس مبادرات من جهات حكومية لتوفير وتوزيع مستلزمات الوقاية والتعقيم ، اعلنت اجهزة الأمن العراقي اعتقالها الاف المخالفين للحظر الصحي ، كما اعلنت عن فرضها غرامات مالية تصل الى خمسين الف دينار ، ومئة الف دينار عراقي لمن يخالف تعليماتها ، بينما وعدت المواطن المتضرر بمنحة مالية قدرها ثلاثين الف دينار فقط لكل شهر منذ بداية الأزمة ، ولم يستلم احد هذه المنحة الخجولة بعد اكثر من شهر على بداية تفشي الوباء وتعطل الأعمال ، وفي الوقت الذي دعت فيه الحكومة القطاع الخاص الى تخفيض أجور المولدات الكهربائية ، لم تبادر هي الى اعلان الغاء أو تأجيل استيفائها لأجور الماء والكهرباء من المواطنين خلال الأزمة ..

من الذي يختار شكل ومواصفات النظام العالمي الجديد ؟

يغلب الظن على ان انظمةً عالميةً حـاكمةً هي من يموِّل هذا النظام العالمي ، لكن بـعض الآراء تذهب الى وجود جهات أو أشـــخاص أو عوائل متســـلطة على تلك الأنظمة الرســـمية الحـاكمة ، هي الأكثر ثراء في العالم والتي يقـوم الإقـــتصاد العالمي على مشـاريعها ويتحـــرك السـوق وتعمل البـــنوك بأموالها ، يمضي بعض الباحثين ليصل الى اكثر من التحـكم بـالمال لأجل المال فقـط ، انه التحـكم من أجل الســيطرة واحتواء العالم .. هيأ التطور العلمي في القرن التاسـع عشـر جواً من الأمل والتفاؤل نظر المجتمع الأوربـــــي من خلاله بفرح الى المستقبل حين اكتشف قدرة العقل الانسـاني على تحقيق التوازن والإستقرار والوصول الى حياة آمنة متطورة ، لكن العقـود الأولى من القـرن العشـرين اتسـمت بـــجو من التشاؤم والإحبـاط بسبـب الحـرب العالمية الأولى وما تلاها من احداث . ويمرُّ عالمنا اليوم ونحـن في العقـود الأولى من القرن الحادي والعشـرين بـفوضى وقـلق واضطراب بسبـب جائحة كورونا ومآلات الحـراك الإقـتصادي القـائم على ثورة العلم والتكنولوجيا واضطراب احوال كثير من البلدان داخليا

وخارجياً وتحول دول في العالم العربي من مرحلة الى اخرى مختلفة في نظام الحـكم وما ترتب على هذه التحـــولات من اضطرابات ومشاكل تشابهت في العراق ولبنان وتونس وليبيا وغيرها بانها مشاكل اقتصادية ثقافية انسانية تتعلق بحقـوق المواطن ومكانته وكرامته ومستقبـله وتجدر الإشـارة الى ان الانظمة البـرلمانية في كل من العراق ولبـنان وتونس قـــد فشلت بعد ان تعثرت كثيراً منذ بدايات احداث الربيع العربي في تونس والاحـتلال الامريكي للعراق واصبـح المواطن في هذه البلدان وعموم العالم العربي والإسلامي ودول اخرى في مناطق متفرقة من العالم يشعر بالإحباط والقلق فهو لا يملك الوقـت الكافي للتكيف مع المتغيرات التي تتوالى على العالم فمع انتشار وباء كورونا ظهرت مشاكل إجتماعية وسياسـية وثقافية وصحية . قديماً استغرق الإنسان حـوالي ثمانية الاف سنة ليصل الى مرحلة صنع الغذاء ، واسـتغرق خمسـة الآف سنة ليدخل مرحلة الإنتاج الصناعي ، وشيئاً فشـيئاً ازدادت خطوات الإنســـانية تســـارعاً في طريق النمو والتطور امام تناقص الوقت اللازم لتلك الخطوات ، ففي حوالي ثلاثين سنة

دخل مرحـلة التقـنية العلمية التكنلوجية وقـد اســهم هذا التســـارع في الزمن في دفع الناس بـــاتجاه قبـــول تلك المتغيرات حـــتى من دون فهمها احـــياناً أو التكيف معها ، وبدل ان يشعر الفرد بالتفاؤل إزاء هذه التطورات اذا به يعيش الفوضى في حاضره والقـلق على مستقبـله ، واذا كانت مكانة رجال الدين قد تضاءلت في عيون الأوربـي أمام بـروز مكانة رجال العلم في القرن العشـرين على إثر متغيرات تلك الفترة ، فإن مكانة الإنسان في القرن الحادي والعشرين قد تراجعت امام نفسه ، وظهرت سلوكيات لم تكن معروفة ومنتشرة في بلدان عربية واسـلامية مثل الإنتحـار وبـيع الأبـناء واخذت هذه السـلوكيات المرفوضة تنتشـر بحـيث لم يعد بوســع ثقافات الشعوب انقاذ الناس من هذه المطبات والتخلص من هذه الأزمات المتراكمة .

بين لغة الأرقام ولغة السلام ..

يزيد عدد سكان الأرض على سبع مليارات نسمة ، فيهم حوالي مليار شخص يعانون الجوع ، ومليار ونصف شخص لا يحصلون على مياه صالحة للشرب ومليار شخص يعانون الأميّة ، و١٣ مليون طفل يموتون سنوياً حول العالم قبل اليوم الخامس من ميلادهم بسبب سوء الرعاية الصحية للطفل أو الأم (١).

لم يعد الفقر اصطلاحاً يشتمل على الحالة الإقتصادية وعلى دخل الفرد والمورد المالي ، فقد شمل ما هو ابعد من ذلك ، انه توفر الفرص الحقيقية من قبل الفرد أو المجتمع أو النظام الذي يدير شؤون البلاد ، من شأن هذه الفرص ان تمكّن الفرد من اداء رسالته في الحياة ، فلكل شخص منا رسالة مهما كان دوره ومهما كانت مقدرته . فعندما يتظاهر حملة الشهادات العليا مطالبين

١- اقتصاد الفقر وتوزيع الدخل - د. عبد الرحمن سيف سردار - عمان - الاردن - ٢٠١٥ - ص٢٧ - دار الراية للنشر

بفرض تعيين ، ويتظاهر معلمون للمطالبة بـأجورهم غير المصروفة منذ ســـنين ، وعندما لا يؤدي هؤلاء ادوارهم الطبيعية في الحياة ولا يشـاركون في حـركة المجتمع بسبـب البـطالة واهمال الحـكومة أو يشـاركون بـدرجة فاعلية منخفضة ، فإن ذلك يكشف عن مساحة الفقر التي عليها البلاد . وجاء في الحديث النبـوي الشـريف (هلاك امتي في شيئين ترك العلم وجمع المال) (١) . وهي الصفة الغالبة تقريباً على مناخ العالم اليوم إذ تسـهم متطلبـات الحـياة الجديدة في زمن الســـرعة ووفرة المعلومات في دفع الناس الى البحث عن سبل اختصار الوقـت من اجل الوصول الى الغايات وان كان ذلك على حسـاب مبـادىء وقـيم واعتبـــارات مهمة وفي مقـــدمتها كرامة وحـــرية الإنسان ..

١- المستطرف - شهاب الدين الابشيهي - ج١ - مطبعة منير - بغداد

في السابق كانت الأنظمة بحاجة الى تعيين اعداد كبيرة من حملة الشهادات كموظفين في مؤسساتها ودوائرها التي كانت كثرتها تعزز نفوذ الحكومة وتقوي شوكتها ، يضاف الى ذلك حاجتها في ذلك الوقت الى كسب ود الناس وخير وسيلة هي توفير فرص عمل ووظائف مدى الحياة والذي يعني الاستقرار المعاشي والتطور الاجتماعي بعد ان كان الناس في حدود مهن الزراعة والتجارة . اما في هذه العقود الاولى من القرن الحادي والعشرين وبعد ارتباط الانظمة بالعلاقات الخارجية اكثر من ارتباطها بعلاقاتها مع الجماهير فلم تعد بحاجة الى تلك الأعداد من الموظفين . في السابق كان استقرار الناس مصدرا لاستمرار الانظمة في السلطة . لكن الأمور أخذت تتغير في عالم التقنية والاتصالات ، وعالم المال والأعمال ، فالوظيفة في حسابات الحكومة تعني رواتب طيلة سنوات الخدمة مع ما يضاف اليها من علاوات وامتيازات تتبعها مرحلة التقاعد حيث تكون الحكومة

ملزمة بتأمين رواتب المتقاعدين وعدم المساس بـها أياً كانت الظروف والأحـداث والملابسـات والتطورات وقـد رأينا محاولة الحكومة المؤقـتة في العراق بـعد تظاهرات تشرين ٢٠٢٠م عندما استقطعت من رواتب المتقاعدين واخّرت صرفها وما سبَّبـــــته من ازعاج وما نتج عنه من استياء ونقـد تراجعت على اثره عن هذه الخطوة السـيئة التي تأتي تنفيذا للتوجه العالمي نحـــــو التخلص من الوظيفة او تحـجيمها قـدر الإمكان وتعويضها بالعقـود المحددة بفترة زمنية فالعقود بـديل اسـتنزافي للموظف يوفر للحـكومة وللنظام العالمي عموماً موارد كبـيرة ، لا يزال كثيرون يفكرون بالطريقة السابقة نفسـها ، خصوصاً وان القطاع الخاص في العالم العربـي تحـديداً قـطاع غير مرن الى الحد الذي يشعر معه الشخص بالإستقرار لذلك يجد اغلب الناس في الوظيفة مصدر عيـش آمـن ، علـى الرغم من دخول العالم العربي مرحلة الربـيع والاحـتلال وما تلاها من تغييرات سياسية واقـتصادية واجتماعية لم

يصل الى السلطة اشخاص تمكنوا من تخطي ازمات البلاد ، بل العكس ، تأزمت الأمور واضرَّت كثيرا بسلامة حياة الناس والتظاهرات المتكررة تكشف عن قنبلة موقوتة قد تنفجر في اي وقت اذا لم تتمكن الحكومات من تجاوز هذه الأزمات ، ولا يبدو ان بمقدور هذه الأنظمة القيام بذلك التصحيح ، كما انها لا تصارح شعوبها بالإملاءات المفروضة عليها من قبل المتسلطين عالمياً وبالنظام العالمي المراد له ان يسود العالم في العقود المقبلة ، إذ تتوقع بعض الدراسات المستقبلية ارتفاعاً كبيراً غير مسبوق في نسب البطالة في النصف الثاني من القرن الحادي والعشرين ، ولكي تبدو الحكومة معنية بمعاناة الشباب بادرت الى اطلاق منح للعاطلين وسلف للأعمال الصغيرة والمتوسطة والكبيرة وهو توجه عالمي ، لا ينطلق من شعور الحكومة بحجم المسؤولية الملقاة على كاهل مسؤوليها كما يعتقد كثير من الناس . ان من اولويات النظام العالمي الإنساني ، القضاء على الفقر

بـتوجيه التنمية الإقـتصادية لمعالجة مشـاكل الفقـــراء والمضي بـهم نحـو تجاوز حـالتهم المعيشـية الصعبـة . إعلامياً لا يبدو ان انظمة العالم تولي مسألة الفقر اهتماماً عميقـــاً عندما ترصد دول متقـــــدمة اكثر من ٦٠ مليار دولار لمشـــاريع الذكاء الإصطناعي وترصد دول متأخرة في احـــدى موازناتها المالية في اجواء الوبـــاء العالمي مبالغ مالية من اجل لعبة تسلق الجبال في الوقـت الذي تسجل الإحصائيات فيها ارتفاعاً في اعداد الفقراء .. !!

ان صناعة الوعي هي الصناعة التي ينبـغي على الشـعوب اتقـــانها كي تتمكن من مواكبـــة الصناعات التي تنتجها الرأسـمالية ، فبـدون صناعة الوعي سيتحـول الناس الى أرقامٍ تستهلك أشياءً . لقد شكَّلت الطاقـة جوهرا أساسـياً في تطور الحياة وازدهار الصناعة وتنوعت اشكال الطاقـة فهناك الطاقة النفطية والطاقة الكهربائية والطاقـة النووية والطاقـــة الشمســـــية وطاقـــة الرياح وغيرها وازدهرت الصناعات بـهذا التنوع وتغيرت وســـائل العيش وادوات

العصر غير ان نوعاً مهماً من الطاقـــة لم يلق ذلك التطور والإهتمام وهو الطاقة الروحية التي سنحـتاجها كثيراً في العقـود المقبـلة من اجل حـماية منظوماتنا الآدمية من التحوّل البشري الى الرقمي . تسهم الطاقـة الروحـية في صناعة إنسان متطلع الى هويته وبـناء شـخصيته ، قـادر على اســـتخدام مخرجات التطور الصناعي والتقـــنية الرقـمية في تحقـيق اهدافه في الانتقـال من مرحـلة البشرية الى مرحلة الانسانية ، (ترتبـط كلمة "الروحـي" غالبـاً بـكلمة الأخلاقـي في مناقشـة القـيم الأخلاقـية والروحـية في التربـية... وربـما كان انفع مفهوم للبـعد الروحي يمكن الحصول عليه بالرجوع الى حرية الإنسـان والى إدراكه للقـيم . وحســب هذا الرأي . الروحـية هي الحـــرية من اجل المعرفة ومن اجل خدمة المثل العليا ولكن هذا هو بالضبـــط تعريف الاخلاق بـــالمعنى الواسع ..) (١)

١- فلسسفة التربية - فيليب هـ فينيكس - ترجمة د. محمد لبيب النجيحي دار النهضة - القاهرة ص٤٦٢ - ١٩٦٥

الوعي الذاتي ..

بعد اكثر من سنة على تفشي وبـاء كورونا اعلنت اكثر من دولة توصلها الى لقـاح ، ومن بـين مجموعة كبـيرة من اللقاحـات المقترحـة اعتمدت منظمة الصحـة العالمية عدداً محـدداً منها ، وفي هذه الأجواء ظهرت موجة ثانية من الفايروس ، ويتوقـع ظهور موجات واجيال جديدة ، ربـما لأن الوبـاء جديد وغريب لذا اخذ التخيُّل دورا في وصف الآتي من الأيام ، وربـما كانت الإحـاطة بحـجم المخاوف الحقيقـية وراء كثير من هذه التوقـعات وربـما تعذّر الإحـاطة بحقيقـة الوبـاء ، هذا يعني اضطرار الناس الى تقبل حالة الطوارىء لوقت اطول ، وحـيث ان اجهزة المناعة لدى كثيرين وبحـكم المناخ السياسـي والإقـتصادي العالمي ضعيفة في جانبـيها البـدني والنفسي ، فقد تولَّت الجهات والمنظمات الصحية تبـيان مستلزمات رفع مناعة الجسم ، وهذا وحـده لا يكفي مالم يرافقـه رفع المناعة النفسـية ايضا ، فإذا كان التعرض لأشـعة الشـمس وتناول العسـل والخضروات الطازجة ،

وممارسة الرياضة البدنية يرفع مناعة للجسم ، فإن النفس تحتاج الى تمارين تحفظ لها عافيتها ، فمثلما يقاوم الجسم الفيروس بمناعته البدنية القوية ، فإنه يقاوم الإشاعات والإعلام المضاد والأخبار الموبوءة بمناعته النفسية القوية التي تمنع الإعلام السلبي من اقتحام طاقته الإيجابية واصابتها بالضعف . افادت دراسات طبية ان الإحباط والشعور بالضعف المعنوي يؤثر في سلامة المناعة البدنية للجسم ويعرضّه للإصابة بالفيروس ، فاذا كانت قوّة مناعة الجسم البدنية متوافرة في اصناف الأغذية ، فإن قوّة مناعة الجسم النفسية متوافرة في الوعي الذاتي الذي يعطي الشخص الوقت والإستعداد للإتصال بالنفس في اجواء نقية لاستلام بث روحي معنوي صرّحت به الآية الكريمة (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربّكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) سورة يونس آية ٥٧ ..

اذا اخذنا بنظر الإعتبار وجود اكثر من سبعة ملايين

عراقي تحت خط الفقر، و ٧٠% نسبة البـطالة في صفوف الشباب حسب احصائيات عالمية ، فإننا بحاجة الى خلية ازمة تتصرّف على وفق معايير وخطط اكبـر من عسـكرة الحياة المدنية للناس ، بينما يؤشـر الواقـع خلاف ذلك إذ نقلت احدى القنوات الفضائية عبر شريط إخباري اعتقال اجهزة الأمن اكثر من ٥٠٠٠ مواطن عراقي خالفوا حظر التجوال منذ تطبيقـــــه لغاية اواخر اذار ٢٠٢٠م ، دون إشـــــارة الى اعداد العوائل المعرّضة للجوع وآلية مدّهم بالمعونات اللازمة ، بينما بـادر أشـخاص غير مرتبـطين بجهات حـكومية او منظمات حزبـية الى القـيام بنشـاط اجتماعي مدنـي خدمـي تطوعـي يعمـل علـى تجهيـز وجبات وسلات غذائية لتوزيعها على المتضررين ..

بـفعل مشـاريع تدويل السـلطة ورأســمال الاقــتصاد ، والتداول السـريع للمعلومات والتطور المذهل للتقـنيات وبـرامج الذكاء الإصطناعي والروبـوت ومشـاريع تسـليع العلم وعولمة الثقــافة والبــيئة الإصطناعية ومشــاريع

التحـكم بالطقـس ومشـاريع انتاج مواد خام اصطناعية ، ثمة صراع يواجهه كل شـخص مع نفسـه ومع محـيطه ، صراع غير متكافىء ، فبـــينما يبحـــث المرء عن ذاته ، تبحـث مشـــاريع التدويل في ادراجه شـــيئاً ضمن عالم الأشـــياء ، وظهرت هنا وهناك توجهات وتصريحـــات ومواقف كشـفت عن إغفال متعمد لكرامة الإنسـان التي اولاها النص المقـدّس اهتمامه في قـــوله تعالى (وكرمنا بني آدم ..) سورة الإسراء آية ٧٠ ، وفي تاريخه يذكر اليعقوبي الحديث النبـوي (من ازداد علماً ولم يزدد زهداً لم يزدد من اللـــه إلا بعداً) . لا نستطيع في اجواء العالم هذه ، ان نبحث عن سلامة حياة الإنسان ومستقبله بـعيداً عن كل هـذه المتغيـرات .. فمثلمـــا اذهلـــت الثـــورة العلميـــة التكنلوجية الناس ، فقـــد ســـاعدتهم على وعي اهمية الإستقـلالية والحـرية التي حـرّكت آلاف البـــريطانيين للخروج في اوائل ٢٠٢١م احـتجاجاً على قـــانون يعطي رجال الشـرطة صلاحـيات اكبـر في تقـييد التظاهرات .

وصار يعي انه يفعل كل ذلك في عالم يتحـــكم حـــتى بمناشداته ويحوّر اوجاعه ويستثمر معاناته ويوظّف جوعه في مشـــاريع عالمية تمضي على اســـس غير متكافئة الفرص ..

ان معرفة الشـخص بنفســه ، والمامه بواقـعه وماضيه من تراث ودين وقيم وتاريخ ، ومحاولاته الجادة تأويل وجوده من خلال ذلك في مجتمعه على وفق مشتركات إنسـانية اخلاقـية ، كل ذلك اجراءات تحـتاجها الشـعوب من اجل انتاج نظام عالمي يحـــفظ قـــيمة الوجود الإنســـاني ولا يعرّضه للإستثمار والتبعية . الإنسان عقل وإرادة ومشاعر وطبـاع . وكلما تعلق بقـيم ومثل عليا في حـياته العملية كانت ارادته ومشاعره وطباعه تصب في صالح العقـل وهو ينتج افكاراً موضوعية ، وكلما افتقـر الإنسـان الى القـــيم العليا في حـياته العملية كانت ارادته ومشـاعره وطبـــعه تصب في اتجاه انتاج العقل للأفكار الإنفعالية..

يقول الدكتور سامي الدروبـي (.. ليس هناك انسـان بـلا

رسالة وبلا رغبة عميقـة في تحقـيق قـيمه ، لكن معظم الناس يظلون خلال شـطر كبـير من حـــياتهم يطوفون تائهين ، لا يعرفون على وجه اليقـين ما ينبـــغي لهم ان ينشـــدوا من اهداف ، لأنهم يجهلون ان المعرفة الأولى التي يجب ان يحصلها الإنسان من اجل تعيين حياته انما هي معرفته الصادقة الواضحة بطبعه) (١)

١- علم الطباع - د. سامي الدروبي - مصر - ص٢٧٣ - ١٩٦١

الحوكمة والعولمة والرقمنة..

كثر الحـديث تزامناً مع ظهور وبـاء كورونا عن مشـــاريع تستهدف حياة الناس من خلال افتعال الوبـاء تارة ، ومن خلال استغلال الظرف الصحي السيء لإرغام الناس على تقبـــل لقـــاح هو على وفق معنيين جزء من مشـــروع مستقبلي غامض فقد افادت إشارات هنا وهناك الى انه قد يشـكل اختراقـــاً غير مسبـــوق للخصوصية والســـرية ، وظهرت فديوهات ومنشـــورات عبـــر منصات التواصل الإجتماعي وعبـــر مواقـــع الكترونية وقـــنوات اعلامية تتحـــدث عن ذلك ، اضافت قلقـــاً نفســـياً الى حـــالات الإضطراب التي يعيشـها الفرد ، نتج عنها تصدع او انعدام الثقـــة حـــتى في الجهات المعنية عالمياً مثل منظمة الصحـــة العالمية وشـــركات انتاج الأدوية واللقاحـــات ومنظمة الغذاء وغيرها كان من افرازاتها العزوف الملفـت لاعداد كبيرة من الناس في مختلف انحاء العالم عن اخذ اللقـــاح المضاد لوبـــاء كورونا على الرغم من عدم وجود

بديل اخر .

في مقدمة كتابه (دراسة في طبيعة المجتمع العراقي) المطبوع سنة ١٩٦٥م ، يقول الدكتور علي الوردي (لقد عانى العراق منذ عهود بعيدة فجوة واسعة بين الشعب والحكومة . فالشعب يعتبر الحكومة كأنها عدوة له لا تأتي له بأية منفعة ، وكثيراً ما يأتي الضرر منها . وقد لاحظت هذا في اوساط العامة بوضوح..)

قبل ٢٠٠٣م عندما كان نظام الحزب الواحد يسيطر على الواقع الحياتي للناس في العراق ، وقف قسم منهم الى جانب السلطة وابتعد قسم آخر صوب الظل وحياة التقشف والبؤس والخوف والحذر حفاظاً على انفسهم من مصاحبة السلطة أو من الموت بسبب معارضتها ، واختار قسم ثالث الهجرة الى اوربا وبلدان العالم الاخرى ، وعندما شاءت المصادفات واقتضت مصالح القوى الكبرى تغيير النظام في العراق ، دخلت البلاد مرحلة جديدة كان عنوانها الأبرز الوصول الى السلطة عن طريق

صناديق الإقـتراع فتعددت الأحـــزاب ودخلت انتاجات ثورة الصناعة والتكنلوجيا الى البلاد ، وبعد سـنوات ادرك الناس ان واقعهم الجديد لا يقـل سـوءاً عما كان عليه ، أو هو واقـع محـفوف بـالمخاطر ، فوجدوا في ادوات التغيير خياراً يعبَّرون من خلاله عن رفضهم هذا الواقـع فخرجوا الى الشوارع متظاهرين بعد ان كان ذلك مستحـيلا قبـل ٢٠٠٣م ، وسنة بعد اخرى اكتشـف الناس ان تظاهراتهم لم تصل بـــهم الى ما يبـــتغون من تغيير ، وكان للعالم الإفتراضي دوره في تمكين الناس من التعبير عن آرائهم عبـــر منصات التواصل الإجتماعي وشبـــكات الإنترنت ، فأنشأت مجاميع ومنتديات الكترونية وصار بوسع الناس معرفة المزيد عن واقـــعهم السياســـي والإقـــتصادي والإجتماعي والثقـافي ، وما يحـصل من حـــولهم ، وصار بمقدور كثيرين حول العالم ان يقـولوا "لا" أو "نعم" إزاء ما يُطلب منهم الإستفتاء بشـأنه ، وبـذلك شـعر المواطن عبـر العالم ان صوته صار اقـوى من قبـل وصار مسـموعاً

على الرغم من الضوضاء التي تملىء العالم ، وصار بمقدور عدد من الأشـخاص الإتفاق فيما بـــينهم عبـــر شبـــكة الإتصالات على انطلاق تظاهرة وحـــــصل ذلك في اماكن مختلفة حـول العالم ، لكن ما لوحـــظ على كثير من تلك التظاهرات ان المتظاهرين كانوا على علم هامشـــــــــي بحقيقة واقعهم أو كان علماً محـدوداً ، لذا لم يتمكنوا من استعادة السلطة من السياسـيين الفاشـلين والفاسـدين على الرغم من تمكنهم من إسقـــاط حـــكومات ، وقـــد كشفت ذلك تظاهرات العراق ولبنان والجزائر ، وبـهذا فإن العالم الإفتراضي مثلما يوفر منفعة كبيرة فإنه قد يشـكل خطراً كبيراً يحـدق بـالمجتمعات ، فإذا بـها تبـتلى هذه المرة بأنظمة فاشلة تسـهم هي في وصولها الى السـلطة ، خلاف ما كان عليه الحال في زمن الإنقلابات والمؤامرات والإغتيالات عندما كانت السلطة موضع تداول اشـخاص أو احزاب بعيداً عن مشاركة الجماهير . ولكي نستفيد من العالم الإفتراضي في تغيير واقعنا والإنتقال به الى الأفضل

علينا ان لا نعطي اتصالاتنا الإفتراضية مساحة اكبر من اتصالاتنا بأنفسنا ، فمن مؤشرات ضعف الإتصال بالنفس وقوع أشخاص في حالات انتحار وقتل وابتزاز وتجارة بيع الأعضاء وبيع الأطفال والإستغلال . ولكي لا يكون التغيير شكلياً في حياتنا نحتاج ان نعطيه عمقاً واقعياً في الفهم والمعنى وقد نحتاج الى استعارة قول سقراط (اعرف نفسك) التي قالها عندما كان السوفسطائيون بمثابة شبكة تتحرك في ارجاء اليونان لنشر العلم وتعليم الناس التربية والتاريخ وغيرها، واطلق سقراط مقولته (اعرف نفسك) من اجل ان لا تضيع بالناس سبل الحقيقة فيشتبه عليهم الحق والباطل ، فقد كان السوفسطائيون يقولون ان الحق ما تراه انت وان كان غيرك لايراه كذلك ، وقد نلاحظ مثل هذه الفوضى موجودة في ايامنا هذه ، فبعد ان انصرف اغلب الناس عن القراءة بسبب ضغوط ومشاغل ومتاعب الحياة، ضعفت قدراتهم المعرفية وجاء العالم الإفتراضي ليقدّم وسيلة سهلة سريعة للبحث عن

المعلومة والوصول الى اكبر قدر منها ، ولأننا لا نحيط علما بأهداف القائمين على العالم الإفتراضي بشكل دقيق وامين ، فإننا قد نواجه عرضاً مشوّهاً لحقائق معينة بين الحين والآخر ، واذا كان بمقدور المثقف اكتشاف التشوه فليس بمقدور عامة الناس ذلك .

الموظف الإصطناعي ..

كانت الصناعة من اهم علامات تقدّم وتطّور الأمم في القرن العشرين.. وفي القرن الحادي والعشرين اصبحت تقنيات المعلومات من اهم علامات التقدّم والتطّور ..

استبدلت الثورة الصناعية بقيامها ، جهد الإنسان العضلي بالآلات من خلال محاكاة ميكانيكية حركة اعضاء الجسم، فصار بإمكان الآلة انجاز مهام شاقة كانت تتطلب جهوداً كبيرة لعدد من العمال ، وظهر الدور الأبرز للمهارات العقلية فأصبحت فرص العمل من نصيب اصحاب العقول وتقلصت فرص العمال العاديين ، وعندما

جاءت الثورة التكنلوجية استبدلت جهد الإنسان العقـلي بآلات ذكية تقوم بهذا الجهد المميز وبقي للانسان اتخاذ القرار المناسب في الظرف والوقـت المناسـب بـما يخدم صالح العمل وديمومته ونجاحه ..

يتحرّك العالم بـاتجاه نظام جديد تهيأت له ظروف التطور في مجال تكنلوجيا المعلومات ، ومجال تكنلوجيـا علـوم الحـياة ، والتطور في مجال تكنلوجيا البحـث عن مصادر الطاقـــــــة . تكنلوجيا المعلومات هي نتاج نوعين من التكنلوجيا : تكنلوجيا الحاسبـات وتكنلوجيا الاتصالات . وبعملية الاندماج هذه تقدمت الصناعة لتوفر اجهزة ذكية عالية السـرعة والدقَّة يمكنها ان تنوب عن الإنســان في كثير من المهام الإدارية والقـيام بـــاعمال لم يكن ممكنا القـيام بـها من قبـل . ويُخشـــى من هذا التطور المذهل وصوله الى مرحـلة من التنظيم والدقـــة لا يعود معها في حـاجة الى وجود الإنسـان ، خصوصاً في المجال الذهني والتفكير وصناعة القرار . جاء في الأثر (اطلبوا العلم طلبـاً

لا يضرُّ بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم)..

قـديماً كان تنظيم السـير في الشـارع يتوقـف على دور شرطي المرور، ثم جاءت الإشارات الضوئية لتتولى جانبـاً كبيراً ومهماً في عملية تنظيم السير ، فهل هناك ما يدعو الى القـلق إذا حـلّ الموظف الإصطناعي محـلّ الموظف الاعتيادي في مؤسسات الدولة . . ؟

ان تصنيع روبوت (١) آلي مبـرمج للكشـف عن الألغام أو للتخلص من النفايات المشعة قد اسهم في تقديم خدمة كبيرة للإنسانية . . يتوقع ان يسهم الروبوت في ٢٥٪ من عمليات الانتاج في ٢٠٢٥م ، كما يتوقـع انخفاض في تكاليف الانتاج بعد ان يسـهم وجود الآليين في تقـليص عدد العمال الحقيقيين باستثناء الماهرين منهم . تقـول شيفي جارفس مؤسسة شركة future skype والمتنبـئ باتجهات العمل المستقبـلية حسـب قـناة bbc العربـية

١- ظهرت كلمة روبوت لأول مرّة في عام ١٩٢٠م في مسرحية للكاتب التشيكي كارل تشابيك ، وهي تعني حسب اللغة التشيكية العمل الشاق robota ويرجع ابتكارها الى جوزيف تشابيك شقيق كاتب المسرحية.

(انها بعيدة كل البعد عن الاقتناع بعدم وجود قلق حيال ادارة العمل من قبل آلة ذكية)..

ماهي الضوابـــط التي يبـــــرمج على اساســـــها الموظف الاصطناعي وتعطيه امكانية التصرّف في موقـــف ما ، وما تأثير ذلك على الناس ؟

هل سيشعر الشـخص بـاطمئنان وهو يتعامل مع موظف اصطناعي بـــعد ان وجد علاقـــته بـــالموظف الاعتيادي الرسمي علاقة محكومة بالمزاج تارة وبالمصالح الحزبـية والجهوية والفردية تارة اخرى ، وبالمســـتوى النفســـي والأخلاقـــي والتعليمي للموظف ونظرته للآخر فضلاً عن اعتماد بعض الموظفين مناصبهم منصّة تجارية يبـتزون المواطن من خلالها ويفرضون مبـالغ مالية مقابـل انجاز معاملاتهم ..

تقـــول شـــيفي جارفس (ان النظام الذي يفتقـــر الى الإشراف الأخلاقي المناسـب حـيث يسـتخدم الإنسـان تقـديره واحساسـه في الإشـراف على ما يعتبـــره النظام الاســـتنتاج الصحـــيح ، هو نظام ضار للغاية وهو مصدر

تهديد حقيقي)..

ماذا عندما يتحكّم الذكاء الإصطناعي في ادارة العمل عبر اجهزة ذكية تدير عمل موظفين واشخاص حقيقيين ؟.

هل يسهم التوجيه الالكتروني في تحسين اداء الموظف الحقيقي ؟ وهل ينمّي مهاراته ليعطي نتائج افضل في تعاملاته مع المواطنين ؟ وفي حال سجِّلت بيانات الحاسبة تقصيرا لأحد الموظفين وقرّر البرنامج الالكتروني رفض اداء ذلك الموظف ، فهل يكتفي المدير المباشر لذلك الموظف بهذه المعطيات لفصله من العمل أم سيكون له رأيه الى جانب بيانات الحاسبة ؟

هل يصبح الآلي قدوة للإنسان ؟ وماذا ينتج عن هذا الإقتداء ؟ هل سيحسَّن الموظف اداءه ليبدو امام نفسه افضل حالا من الآلي أم ان المناخ الآلي سيقلّل من حجم الموظف ويعطّل نموّه المهني ..؟

يقول البروفيسور تشامورو بريموزيتش (انه على الرغم من المخاوف بشأن تولي الذكاء الإصطناعي مهام المدير

من المهم ان نتذكر ان هناك العديد من المدراء البشـــر الذين لا يطاقــون .. من الصعب جداً على الآلة ان تتفوق في الأداء على افضل الرؤســـاء .. ولكن ليس من الصعب جداً على الذكاء الإصطناعي ان يكون بـــديلاً مناسبـــاً لرئيس عمل سيىء حقاً) (١) ..

هل ان المناخ العالمي الملبَّد بـــالغيوم السياســـية والإقتصادية والأمنية والثقافية السوداء ، يسـهم في جعل الناس يتقـبَّلون وجود الآليين في حـياتهم الطبـيعية ؟ وهل يسهم الوضع الإنساني المتأزم في عموم العالم اليوم في جعل فكرة المواطن الرقمي فكرة مقبولة مستقبـلا.؟ تمكّنت وسائل الإتصال والتقنيات الرقـمية الحـديثة من جمع معلومات كثيرة عن الناس على اختـلاف اماكنهـم واعمالهم وعلاقـــاتهم وافكارهم ومعتقـــداتهم وانظمة بـلدانهم ، واصبحـــت هذه المعلومات الهائلة في متناول شـــركات العالم الإفتراضي ، ويرى بـــعض المعنيين ان

١- موقع BBC news - عربي - موضوع : الذكاء الاصطناعي ماذا لو كان رئيسك في العمل مجرد جهاز كمبيوتر ؟

الجيل أو الأجيال القادمة من التقنيات الرقمية ستتسم بالذكاء الإصطناعي بما يمكّنها من استشعار حالة أو هيأة المستخدم ، كأن يبدي الحاسوب اعجابه بابتسامة المستخدم أو اناقة ملابسه وقد يخاطبه بعبارات ناعمة رقيقة ، وعلى قدر الإعجاب بهذا المنجز التقني الدقيق يساورنا قلق من إحتمال التدخل أو التحكم بهذه المعلومات خارج الإطار الإجتماعي الأخلاقي الإنساني ، ولسنا بصدد الحديث عن قراصنة الإنترنت الذين ينتهكون الخصوصيات ويمرّرون اعمالهم السيئة ، لكن القلق يتعلق بالشبكة نفسها التي تدير هذه المعلومات الكثيرة عن الناس ، وقد اثير في اجواء كورونا حديث عن التحكم بالبشرية عبر رقائق الكترونية صغيرة جدا بقدر حبة الأرز ، تعطى بذريعة مصل أو لقاح مضاد للفيروسات والأمراض أو غيرها ..

صورة غير مشرقة للتغيير الحقيقي ..

اشارت احـدى الإحـصائيات الى ان ٦٨٪ من السـوريين يعتاشون على الحوالات المالية التي يبعثها ابـناؤهم من خارج البلاد ممن هاجروا بسبب ظروف الحرب والإرهاب في البلاد ، واعداد غير قليلة من المهاجرين لقوا حـتفهم غرقاً في البحر وهم يفتشون عن فرصة عيش آمن مستقر . بظهور وباء كورونا واتخاذه صفة الجائحـة وعدم احـاطة المعنيين بمدّة بقـائه ، يبقـى امام الناس قبـول او رفض الواقع ، وفي هذا الحال فإن ما تلمح به بعض الآراء وتشير اليه بعض الدراسات فإن جهات أو منظمات أو اشخاص أو انظمة تتحكم عبر العالم الإفتراضي بهذه الخيارات ، فهي تجرّ الناس عبـر وسـائل التواصل الإجتماعي والمواقـع والمنتديات وتدعوهم الى التصويت بـ "نعم" او "لا" يرى بعض الباحثين ان هذا الاستفتاء يُراد به وضع الناس امام صورة غير مشرقـة للتغيير الحقيقـي ، فهي تعرض لهم بديلاً اصطناعياً عبر الحـوكمة والعولمة والرقـمنة .. لقـد

رأينا كيف اســـــهم كورونا في فض تظاهرات كثيرة في عالمنا العربـــي كما رأينا كيف ان كورونا لم يمنع آلاف المتظاهرين في امريكا من الخروج الى الشـــوارع تنديداً بـــالعنصرية على اثر حـــادثة مقـــتل امريكي من اصول افريقية على يد احد عناصر الشرطة ، وكأن ما يحصل في العالم يدعونا الى نظام جديد واحـد مقبـل علينا . وسـواء كان هذا النظام جيداً أو سيئاً فإنه لن يكون بوسـع الناس القبول او الرفض ، بقدر ما يتاح لهم بعض الخيارات ضمن طريق واحد أيًّا كان ذلك الطريق وبـهذا الشـكل يتحـول الإسـتغلال الحقيقـي الى إسـتغلال رقـمي لا يجد معه الناس من يتهمونه بـما يحـصل معهم . الأعوام المقبـلة كما يتوقع بـعضهم حبـلى بـتغييرات كثيرة يخيم عليها التشاؤم والخوف ، منها ان التظاهرات نفسـها قـد تصبـح من وسائل القوى الكبرى في احداث تغيير في داخل بلد ما من اجل مصالح تلك القـــوى الكبـــرى وليس من اجل مصالح جماهير تلك البـلاد ، اذ بمقـدور القـوى الكبـرى

تعبئة مجموعة من الشباب وحثهم على التظاهر تحت اي عنوان من عناوين الفقـــــــر او التهميش او الظلم او الخدمات او تحســـين ظروف العيش وتأمين فرص عمل وغيرها بحـيث يرتبـط هؤلاء الشبـاب بشبـكة الكترونية تستخدمها الجهة المنظمة للتظاهرات تبـعث رسـائل او تنبـيهات للمتظاهرين في حـــال تعرَّضت تظاهراتهم أو توشك ان تتعرض الى مداهمات رجال الشـرطة ليتفرقـوا بسرعة قبل ان تنالهم عصي ورصاصات رجال الأمن ، من اجل اعطاء تظاهراتهم وقـتا اطول لتحقـيق اغراضها التي لم تنطلق اصلاً من دوافع ذاتية للجماهير بل كانوا وقـوداً لتلك القـوى المتحـكمة والمحـرضة على التظاهر ، وقـد جرى الحديث عن دور امريكي بارز جداً في حراك الربـيع العربي واستثماره عبر منظمات شبابية التقتهم واعدّتهم ودرّبتهم أو اتصلت بهم عبـر النت وحـفزتهم وقـد يكون اعدادهم بـالالاف او مئات الالاف ، لكن النفس البشـــرية اثبـتت على مرّ العصور قـــدرتها على مواجهة وتحـــطيم

الانظمة التي مثّل فيها فرعون قمّة الإستعباد والإستغلال في ذلك الوقت عندما لم يكن بوسع النفس البشرية في النبي موسى الوقوف بوجهه حتى أمّن الإيمان اتصالها بالله فجاء قوله تعالى(انني معكما اسمع وأرى) دافعاً ومحفزاً لبدء مشوار التغيير والتبشير بنظام جديد.

بين أرشفة الماضي ورقمنة المستقبل ..

في تقديمه لكتاب الأسس النفسية للإبداع الفني ، كتب الدكتور يوسف مراد (ان هناك من الماضي ماهو دائماً في الحاضر ولذلك يمكن ان نقرر اننا لا نفوز بالنشوة الجمالية إلا بقدر ما اكتسبنا من خبرات ماضية ولكن بعد إمحاء هذه الخبرات من ذاكرتنا أي بعد ان تكون قد تحوّلت الى جزء منّا غير متميز عنّا ، اي بقدر ما تكون قد أصبحت نحن لا لنا ولا منّا) (١) .

١- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة - د. مصطفى سويف - دار المعارف - مصر ط٣ - ١٩٦٩م

في النظام العالمي الجديد ينبـــغي ان يكون المواطن هو المعيار بـكل ما في منظومته الآدمية من جســـم ونفس تتحرك في إطار اخلاقي عرّفه الأنبياء ووضّحوه من خلال رسالاتهم ..

ان العلاقـات السياســية والتبـــادل التجاري والإقـــتصاد العالمي والســـوق الموحـــدة ، لا ينبـــغي لها في النظام العالمي ان تتحـــرك على وفق الإختصاص الدقـــيق دون الأخذ بـنظر الإعتبـار النظم الإجتماعية للشـــعوب ، فلا ينبـــغي ان تكون الشـــعوب مجرّد اوراق لعب في ايدي السياسيين يحتفظون بالرابحـة منها ويتلفون الخاسـرة ، ولا ينبغي لتدويل الإقـتصاد والإنتاج ان يتعامل مع الفرد على انه مســتهلك يرتجى من خلاله تحقـيق اســـتهلاك عالي من اجل معدّلات اربـــاح عالية لصالح الشـــركات المنتجة والمصنعة .. نحتاج الى قوالب اخلاقـية حقيقـية غير اصطناعية ، لقد اظهرت الأيام التي اجتاحـها فيروس كورونا ان الناس لا تضحّي بـجانب تكوينها الروحـــي من

اجل سـلامة الجانب الجسـمي ، فعلى الرغم من التحـذيرات ، ومن مخاطر التجمعات ، ومن كثرة الإصابـات بـالفيروس ، خرج الآلاف في حـوالي ٣٠ ولاية امريكية منددين بالتمييز العنصري في ٢٠٢٠م على إثر حـادثة مقـتل (جورج فلويد). وفي شـمال الهند حـيث سجلت البلاد ثاني اكبر عدد اصابـات بـفيروس كورنا في العالم واكثر من ١٥٠ الف حـالة وفاة في ٢٠٢١م ، خرج مئات الألوف من الهندوس للمشـاركة في مهرجان (كومبـه ميلا) الديني للإغتسـال عند ملتقـى نهري (الغانج ويامونا) لإعتقـادهم ان الغطس في هذه المياه يخلّصهم من خطاياهم حسب الأساطير القديمة ..

تدخل الفاعلية عاملاً مهماً في إعطاء الفكرة حضورها من عدمه أيًّا كانت تلك الفكرة - صحيحـة او خاطئة - إذ يمكن ان تكون هناك فكرة صحيحـة لكنّها غير فعّالة ، ويمكن ان تكون هناك فكرة خاطئة لكنهـا فعّالـة . هـذه الفاعلية اذا واتتها بـيئة جيدة اظهرت الفكرة الصحيحـة

وجعلتها مقبولة ، واذا حكمتها ظروف سيئة اضمرت تلك الفكرة الصحيحة أو البستها ثوباً مزيفاً ..

الفاعلية هي هيمنة نمط أو عُرف أو مسلك اجتماعي يفرضه الواقع ، في ظروف عصرنا الراهن لا يستطيع احد ان يغفل اهمية الدخل المالي ، ولكن عندما يأخذ التفكير مساحة اكبر من فكرة الكسب السليم ، فإن مقدار الدخل كرقم يصبح فعّالا اكثر من قيمة ونوع الدخل ، فتضيع بذلك فكرة اصالة وقيم الكسب المالي لتحلّ محلها ارقام ربّما تهدّد ثقافة الفرد وهويته تهديدا قد يفرض المغادرة أو التهميش على مفاهيم الرحمة والمودة والإنسانية . يشهد العالم توسعاً كبيراً في علاقات التبادل التجاري والصناعي ودخول الماكنة الى الحقل وتنوّع عمليات الإنتاج واكتشاف مصادر بديلة للطاقة بعد ان كانت معتمدة على الفحم والنفط ، ودور الهندسة الوراثية في تعديل المواصفات في عالم النبات والحيوان ، ودور العالم الإفتراضي في تسهيل اتصال

الناس ببعضهم على اختلاف اماكنهم ولغاتهم وقومياتهم وظهور شركات عابرة للقوميات وما ترتب عليه من ظهور فرص عمل جديدة وفتح اســـواق افتراضية وظهور افكار تجارية ومشاريع تحقـيق ارباح طائلة لم يكن تحقيقـها ممكنا قبل الثورة العلمية التكنولوجية ..

حـذّر البـنك الدولي من ظهور الملايين من الفقـراء بـعد الإضرار الكبـير الذي لحـق بالإقـــتصاد العالمي بسبـــب تفشي وبـاء كورونا ، وتقـدّر الأمم المتحـدة عدد الأطفال الذين تأثروا بإغلاق المدارس بسبب كورونا بحوالي مليار ونصف المليار طفل في العالم..

احصائيات اخرى تفيد بوجود حوالي ٤٠٠ مليون شخص حول العالم فقـدوا وظائفهم بسبـب الجائحـة ، فضلاً عن وجود ٢٠٠ مليون عاطل اصلاً .

الإعتذار بين تسليع الضمير ورقمنة المفهوم..

قد يصبح الإعتذار أو التعويض المالي سلعة تقدّمها الدول الصناعية الى شعوب البلدان المتضررة مياهها أو اجواؤها أو اراضيها جرّاء تلوثها بمخلفات صناعية - عن طريق الخطأ - حسب تصريحات تعود الى تلك البلدان المتقدمة ، وقد لا يكون في الأمر أي خطأ ما دام المال متحكّماً بصناعة القرار دون ضوابط انسانية واخلاقية ، فتجد في الإعتذار تبريراً واعترافاً بالخطأ وتجد في التعويض المالي مخرجاً لإزالة رواسب تحمّل المسؤولية . في عيد الفصح وعلى إثر موجة ثالثة من وباء كورونا اجتاحت المانيا في نيسان ٢٠٢١م ، حذّر الرئيس الألماني من ازمة ثقة وأقرّ بارتكاب اخطاء بسبب الوباء فيما يتعلق بالإجراءات والتطعيم والحدّ من تفشي الوباء..

إذا كان العالم يتجه الى نظام جديد عقب هذه الأزمة الصحية والإقتصادية العالمية ، أو ربّما يتجه الى حرب

عالمية ثالثة على وفق توقعات بعض المراقبين ، أو كما في تصريح احدهم ان العالم بعد كورونا لن يكون كما هو قبل كورونا ، إشارة الى نظام جديد يراد له ان يقود العالم لا يبدو ان فيه مكاناً للقيمة الشخصية للإنسان الذي قال عنه الرئيس الامريكي ترامب وهو يتحدث عن الشعب الإيراني انه يستحق حياة افضل ، ومع ذلك لم يعلّق عقوبات بلاده الإقتصادية على ايران في ظروف الجائحة حتى بعد ان سجّلت الأرقام ارتفاعا كبيراً في أعداد المصابين وفي حالات الوفيات .. كما توعّد ترامب الحشد الشعبي في العراق بهجمات عنيفة ، وامر قواته بمغادرة قواعد عسكرية في البلاد بسبب كورونا ، ولم يوقف دعمه المادي للسعودية في حربها ضد اليمن على الرغم من المآسي الإنسانية التي تنقلها وسائل إعلام من موت ومرض وجوع المّت باطفال ونساء وكبار سن ومدنيين ..

في فرنسا تظاهر اصحاب السترة الصفراء في ايار ٢٠١٨م ضد رفع اسعار الوقود وزيادة الضرائب دون ان تصطبغ

تظاهراتهم بـــلون عنصري ، كذلك فعل متظاهروا العراق وهم يحـملون شـعار (نريد وطناً) دون اشـارة الى فئة أو لون أو عرق أو مذهب واتســـعت التظاهرات لتنظم اليها محافظات في الجنوب في الوقت نفسه وللأهداف نفسـها التي خرج لأجلها اللبـنانيون والجزائريون وغيرهم . وفي تركيا تسبـــب العنف في موت حـــوالي ٣٠٠ إمرأة في ٢٠٢٠م وانطلقـت تظاهرات نســوية على إثر انسحـــاب تركيا من الاتفاقية الدولية لحماية المرأة ..

وذكرت مصادر إعلامية ان عدد الذين قضوا بسبـب وبـاء كورونا في امريكا فاق عدد الذين قـــضوا في الحربـــين العالميتين الأولى والثانية وحـــرب فيتنام واحـــداث ١١ سبتمبـر معاً .. انه الإنسـان الذي لايبـدو انَّ له مكانا في صورة العالم بعد كورونا على وفق تصريحـات وتلميحـات هنا وهناك حـول العالم ، وسـواء كان لهذه التصريحـــات خلفيات حقيقية صادقة ام لا ، فنحـن مدعوون للحـفاظ على سـلامة نسـيجنا الإجتماعي وتقـــوية جهاز المناعة

الجمعي ، وان نستفيد من التقنية الرقمية الحديثة بحيث نتعامل معها على انها ادوات نستخدمها لإكتشاف الإنسان فينا والحفاظ عليه بلا رتوش عرقية أو دينية أو قومية .. لقد رأينا كيف اسهم منظر جثة طفل سوري انطفأت اعوامه الثلاثة على شاطىء البحر قبالة الساحل التركي اثر محاولة عائلته العبور الى اوربا طلباً للجوء في ٢٠١٥م ، في خروج تظاهرات جماهيرية كبيرة في اوربا تطالب بفتح الحدود للمهاجرين ، وفي ٢٠٠١م غرقت عبّارة قرب احدى جزر استراليا وهي تقلّ عددا من اللاجئيين العراقيين في سنوات الحصار الامريكي على العراق ، ١٤ سنة بين الحادثتين وسيناريوهات النظام العالمي نفسها لم تتغير. في مشهد آخر وقف شاب سوري مسلم في احدى ساحات باريس وهو يضع عصابة على عينيه ممسكاً بوردة ، يضع على رقبته لافتة كتب عليها: انا مسلم ، انا لست ارهابياً ، انا احب الناس ، عانقني ان كنت تشعر بصدق لهجتي . أظهر عدد كبير من المارّة تعاطفهم معه وعانقه عدد كبير منهم ..

حول مستقبل العالم الثالث..

لا نستطيع ان نتجاوز حقيقة الدور الريادي للدول الصناعية المتقدمة ، والمناخ الجديد الذي اوجدته الثورة التكنلوجية ، واذا اخذنا بنظر الإعتبار ان العلم لا يقوم بهذه الإنجازات بعيداً عن الإرادة الدولية للأنظمة التي تدير العالم ، وان هذه الأنظمة كشفت عن مساوئها أو بعضها في اجواء العالم الموبوءة بفيروس كورونا الذي اظهر تعثّر امبريالية الغرب الإقتصادية في احتواء الأزمة، وكشف عن الإجراءات الأمنية العسكرية الإدارية التي واجهت بها انظمة الحكم في كثير من بلدان العالم العربي الإسلامي هذا الوباء وتداعياته من خلال التوجيهات والتحذيرات والعقوبات ..

(ان سكان الكثير من العالم النامي ينشطون سياسياً ويشعرون بالسخط في كثير من الأمكنة . انه (اي العالم النامي) مدرك تماماً للظلم الإجتماعي والى درجة غير مسبوقة .. وهذا ينتج مجتمعاً ذا مواقف ورغبات مشتركة

يمكن اثارتها وتوجيهها بواسطة اهواء سياسية أو دينية ديماغوجية وهذه الطاقات تتجاوز الحدود المستقلة وتشكل تحدياً للدول الموجودة وكذلك للتراتبية العالمية الموجودة التي لا تزال الولايات المتحدة تقبع على رأسها) (١).

في النظام العالمي الجديد الذي يلوح به افق ما بعد كورونا ينبغي وضع خطة امنية تتفاعل مع بناء ذات الإنسان في اي مكان وان لا تسمح بزجّه في ازمات وحروب وليس لديه وسائل وامكانات يواجه بها ما يعترضه سواء كان وباء أو مؤامرة أو مشروعاً عالمياً ظاهره جميل وفي باطنه قبح كثير.. (في عالم تسوده أوضاع عدم التكافؤ صار العالم مع الثورة التكنلوجية اكثر انقساماً عما كان عليه عند الثورة الصناعية وتفجرت ازمة جديدة في نمط تقسيم العمل الدولي ، ازمة غير تقليدية

١- عالم ما بعد امريكا - فريد زكريا - ترجمة بسام شيحا - الدار العربية للعلوم - لبنان - بيروت ط١ ٢٠٠٩م

ولا نموذجية ، اختلت التجارة الدولية ، وضعت عليها قيود ، وتزايدت اجراءات الحماية . وكان ذلك من جانب الدولة الصناعية المتقدمة وليس العكس) (١) ..

اذا كان السؤال الملح قبل كورونا يبحث في مدى استعداد دول العالم الثالث لمواكبة التطور التقني العلمي التكنلوجي في الغرب ام البقاء في الهامش ، فإن السؤال بعد كورونا يبحث في آلية إخضاع العالم الثالث كما بقية دول العالم الى نظام جديد لا ينتظر همَّة مثلما ينتظر قبولا ، أياً كان شكله اضطرارياً أم تلقائياً.

ان اكساب المال والسلعة طابعاً عالمياً وسيطرة رأس المال الكبير على صناعة القرار محلياً وقومياً ليصبح الإقتصاد هو القوة الجبّارة التي تنطوي تحتها كل القوى الأخرى ، (التقدم السريع في كافة ميادين العلم والتكنلوجيا يبشر بتغيير العديد من الإفتراضات القائمة

١- الرأسمالية تجدد نفسها - د. فؤاد مرسي - سلسلة عالم المعرفة الكويت - ص٦٥ - ١٩٩٠م

منذ زمن طويل كما يبشر بحل كثير من المشكلات المستعصية حتى الآن ،وهو ينذر في الوقت ذاته بمخاطر واخطار جديدة تواجه البشرية).

الإنسانية هوية من حق الجميع الحصول عليها، والعلم ثروة من حق الجميع الحصول عليها ، والدين روح من حق الجميع الإتصال بها ، والأخلاق إطار اجتماعي عالمي من واجب الجميع البحث عن حرياتهم في حدوده ..

مؤشرات عديدة تفيد بأننا مقبلون على مصاعب كثيرة وخطيرة ، هي على وفق بعض الآراء تصل حدّ التحكم في التكوين البشري للفرد واعادة هيكلة بناء الشخصية على وفق معايير تكنلوجية معاصرة ترتئيها القوى الكبرى .. فإذا كانت القوى الكبرى اليوم تدرس معادلة النظام العالمي على وفق رؤية الحضارات القديمة القائمة على العنصرية التي رأى من خلالها اليونانيون انفسهم الأفضل من بين سائر الشعوب . ووقفت قوة

الامبـراطورية الرومانية وراء قـانون تمييز الروماني على غيره من الناس . واعتقـد الصينيون انهم الأفضل (ولكي يؤكد سـلوكهم هذا المعنى اقـاموا سـور الصين العظيم حتى لا تتدنس ارضهم بأقدام الآخرين) (١).

في موسوعته المعرفية ذكر الأسقف ايزدور (٦٣٦ - ٥٦٠) ان القـرب والبـعد الجغرافي للبـلدان الأخرى عن اوربـا يحدّد تقدُّم وتدهور تلك الشعوب فكلما كانت قريبـة من اوربا كانت اكثر تقدما (٢) .

في حـال اعتمد النظام العالمي الجديد هذه الرؤية ، فلا شك ان الحاضر سيتحرك باتجاه مستقبل مأزوم بكثير من الإشـكاليات ، لكنه يسـتطيع تجاوز ذلك عملاً بـوصية الإمام علي الى مالك الأشتر عندما ولاّه مصر ، فبمحـتوى تلك الوصية يمكنه ان يتجاوز تلك الإشـكاليات ، فالناس

١- قصة الانثروبولوجيا - د. حسين فهيم ص٣٩ - عالم المعرفة الكويت ١٩٨٦م.

٢- المصدر السابق ص٤٢

صنفان ولا ينبغي النظر اليهم على أساس عنصري فهم: (إما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق) ، بـــــــهذه المعادلة يمكن ان يتجاوز العالم فوات الحضارات القديمة ويبشـر بـنظام عالمي جديد مشـرق بـــعد ان بـــدا على مشـاريع العقـــود الأخيرة انها تعمل على وفق تلك الرؤية العنصرية القديمة فمنذ بداية دعوات دول عدم الإنحـياز الى عقـد مؤتمر للتنمية يناقـــش وضع البـــلدان النامية وسبـــل زيادة مواردها وتوفير كل المســـتلزمات التي يمكنها ان تسهم في تقـليل الفوارق بـينها وبـين الدول الصناعية ، لم يحصل تطور ملحوظ في خط نمو البـلدان النامية ، ففي سنة ١٩٦٢م عقـد مؤتمر القـاهرة الذي ركز على تكافؤ التجارة وزيادة موارد البـــــلدان النامية ، وفي سـنة ١٩٦٤م عقـد المؤتمر الإقـتصادي الدولي في إطار الأمم المتحـدة ، ثم كان مؤتمر دول عدم الإنحـياز الذي عقـد في الجزائر سـنة ١٩٧٣م (وكان لهذا الاجتماع فعل مباشـــــر على منظمة الدول المنتجة والمصدرة للنفط

(اوبك) فبادرت برفع سعر تصدير النفط الخام عدة مرات مدللة بذلك على قدرة البلدان النامية على اتخاذ قرار يؤثر مباشرة في الإقتصاد الغربي وينقل السلطة الإقتصادية لأول مرة ولو لأجل محدود وبمناسبة سلعة واحدة الى العالم الثالث.. وفي مواجهة ذلك انشأت امريكا (الوكالة الدولية للطاقة) في ١٩٧٤م ، وردّت البلدان النامية على ذلك بمطالبة الولايات المتحدة بعقد دورة خاصة للجمعية العامة لمناقشة قضية المواد الأولية وقضية التنمية وانعقدت الدورة الخاصة السادسة في ابريل ١٩٧٤م واسفرت مناقشاتها عن اقرار وثيقتين حول:-
اقامة نظام اقتصادي دولي جديد قائم على العدالة والمساواة في السيادة والترابط والمصلحة المشتركة والتعاون بين الدول بغض النظر عن نظمها الإقتصادية والإجتماعية ، نظام يعالج التفاوت ويصحح مظاهر الظلم الحالية ويجعل من الممكن تصفية الهوّة المتزايدة بين الدول المتقدمة والنامية ويؤمن التنمية الإقتصادية

والإجتماعية المضطردة والسلم والعدل للأجيال الحالية والمقبلة .. واصبحت مسألة حل مشاكل الدول النامية ضرورة موضوعية للجميع وليست مطلباً قائماً على اعتبارات انسانية أو دوافع اخلاقية ، فالتنمية مطلوبة من اجل النمو المستقر المضطرد للإقتصاد العالمي كله. وحتى الان وفيما عدا اعلان " ميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية" لم يسفر ذلك كله عن انجاز عملي .في عام ١٩٨٠م حاولت لجنة (برانت) ان تعيد طرح العلاقات الإقتصادية الدولية بين الدول المتقدمة والنامية بحلول وسط ومع ذلك اهملت الدول الصناعية كلتا المحاولتين فقد انتهت حقبة النفط وتم استيعابها بالكامل واستعادت الدول الصناعية من جديد سيطرتها على سوق النفط الدولية ، ناهيك عن اسواق المواد الاولية الاخرى) (١).

١- الرأسمالية تجدد نفسها - د. فؤاد مرسي ص ١٦٠ - ١٦٣
سلسلة عالم المعرفة - الكويت ١٩٩٠م

يقول الفيلسوف الانكليزي بيكون (المولود في ١٥٦١م): الناس ثلاثة : رجل يطمع في ان يبسط سلطانه على امته وهو اوضع الثلاثة ، ورجل يطمع في ان ينشـــر نفوذ امته على امة اخرى وهو ارقـــى من الأول ورجل يطمع في ان يجعل الجنس البشري سيد الكون وهو اشرف الثلاثة) (١) تؤكد وصايا الأنبـياء وحـكم العلماء ودعوات المصلحـين وجهود الصالحـــين على اعطاء الإنســـان بـــمنظومته الإنسانية الأخلاقية العقـلية النفسـية اهتماماً قـائماً على كونه محور فهم ونمو وتطور الحياة ، وبمشاريع (المواطن الرقـمي) و (عالم الاشـياء) وغيرها من المشـاريع التي يعتقد الخبراء انها ستشكل مستقبـل العالم بـعد عقـد او اكثر من السـنين ، سـتمرَّ البشـرية بمرحـلة ملل وتذمر واسـتياء من شـأنها ان تسبـب انفجارا عنيفاً قـد يودي بالحياة الى نهاية مؤلمة . فمنذ قرنين تقريباً والرأسمالية

١- كتاب التوجيه الأدبي - طه حسين واحمد امين ص٦٦- مطبعة دار المعارف - ١٩٥١م

تسجل حضورها المهيمن على ادارة شؤون العالم ، خدمتها في ذلك الثورة الصناعية ثم ثورة الإتصالات حيث اسهمت الإكتشافات المهمة في مجال الطاقة واختراع الآلات بتشكيل السوق العالمية ..

لا يستطيع المال وحده ان يؤمّن احتياجات البلد من معدّات ومستلزمات يتوجب استيرادها من الدول المتقدمة ما لم يرافق وفرة المال سلطة امينة قوية ، فقد تمكّن العراق من شراء طائرات F١٦ من امريكا وانهى الطيارون دورات التدريب هناك وعندما هيمن داعش على المشهد العراقي وطلبت الحكومة من امريكا تزويدها بالطائرات المدفوع ثمنها لم توافق الولايات المتحدة على ذلك وبرّرت رفضها ارسال الطائرات بأن الوضع في العراق لا يسمح بإرسالها ، وعدا ذلك فمما لا شك فيه ان الدول المتقدمة تحتكر حق الصيانة في بلد المنشأ كما تحتفظ لنفسها ببرمجة العقل الالكتروني المشغل لتلك المعدات وغيرها من الإلتزامات . ستعاني

البـلدان النامية المنتجة للنفط والمعتمدة عليه كمصدر اساس للتمويل من مشاكل كثيرة تلقـي بـها في مؤخرة قائمة الدول التابعة الى النظام العالمي الجديد عندما يقل الطلب على النفط او تقل قيمته بـينما يزداد الطلب على خامات اخرى ليس للبـــلدان النامية دور في ادارتها او البحـــث والتنقـــيب عنها . ان التأخر المعرفي والتقـــني للبـلدان النامية يجعلها تابـــعة للدول المتقـــدمة وهذه التبعية ستضمن للقـوى الكبـرى اسـتمرار تدفق اموال البلدان النامية اليها وفي الوقت نفسه اسـتمرار تأخر تلك البـلدان عن الركب العالمي ، الأمر الذي يحـيل المعادلة الى طرفين هما : المنتج المتمكن والمسـتهلك المضطر ، هذا من الناحية الإقـتصادية ، اما من الناحـية السياسـية فإن السياسة الخارجية للدول المتقدمة تعمل بشـكل او بآخر على دعم فكرة التبعية والتأخر للبـلدان النامية تارة من خلال دعم وصول انظمة متعثرة مفتقـــرة الى جوهر السيادة ، لأن الحكومة هي الجهة المعنية في اي بلد عن

تطوير البحث العلمي والصناعة والزراعة والتجارة ومرافق الحياة الأخرى في البلاد فإذا وصل الى السلطة اشخاص غير مؤهلين لهذا الدور المهم فإن وجودهم يخدم التفاوت الكبير الحاصل بين البلدان النامية والمتقدمة وهو تفاوت يتسع اكثر في المستقبل حسب رؤى بعض المحللين والمفكرين لأن الواقع يفتقر الى وجود مقوّمات ومستلزمات وطنية للبحث العلمي في العالم العربي بالإضافة الى ان انظمة الدول النامية لا توفر ما توفره الدول المتقدمة للعلماء والمبتكرين وهذا واضح من حجم المبالغ المرصودة للتطور العلمي في البلدان النامية ومساحة الإهتمام الحقيقي اذا ما قورنت بالأرقام الكبيرة التي ترصدها الدول المتقدمة والجهود العملية ، وهو ما يجعل علماء العالم النامي يلجأون الى الدول المتقدمة وبالتالي فإن انجازاتهم تسجل لصالح هذه الدول وقد تضاف الى سيرة المبدع عبارة لا تأخذ اكثر من سطر تشير الى انه من اصول عربية او اسلامية ..

إجراءات تخويفية وإجراءات تثقيفية..

أمام تزايد الأخطار التي تهدّد سلامة حياتنا اليومية واستمراريتها وحاجتنا الفطرية الى الإتصال والتواصل والعمل والكسب وحب الحياة ، فإن المجتمع الدولي بحاجة الى ادارة تتمتع بقدرتها على تقديم حلول ترقى الى مستوى مداواة هذا الكم الكبير من الجراح والأوجاع والمتاعب ، والأخذ بنظر الإعتبار مسؤولية الأنظمة الحاكمة في العالم عن الحفاظ على التوازن النفسي لمواطنيها اوقات الأزمات والحروب والأوبئة ، فالناس لا يستطيعون مغادرة فطرتهم في حبّ الحياة وحبّ العمل وحبّ المال ، لكنهم يستطيعون تهذيبها اذا تهيأت البيئة الملائمة ، ووجدوا همّة تكفي للنهوض بذلك..

تخطىء بعض الأنظمة السياسية العالمية بحكم قوتها وتأثيرها، حين ترى امراً مقبولاً لديها ، هو كذلك بالنسبة للآخرين . في الزمن الماضي اودى هذا النمط من التفكير بـ (فرعون مصر) الى الهلاك ، فقد كان يحكم

العالم على وفق رؤيته ، حتى ظهر امر الله في نبيه موسى عليه السلام ، ولا يبـدو ان اليوم يختلف عن البارحـة لأن نظام القوى العالمي اليوم يرى في (فرعون) قوة عظمى ، ومن منطلق هذه القوة ، العسكرية الإقـتصادية التقـنية ، تحـرك وزيره (هامان) ليبـني له صرحـاً يمكّنه من بـلوغ اسباب السـموات والإطلاع الى اله موسـى ، ثم تغير ذلك النظام الحاكم بأمر اللـــــه وتدبيره ، وتجاوز (نمرود بن كنعان) في بلاد بابـل حـدوده حـين اعلن نفسـه قطبـاً واحـداً وأمر الجميع بـالخضوع لإرادته والإمتثال لنظامه عدَّ لنبي الـ ابـراهيم نارا عظيمة ، متوهماً قـدرته على إطفاء نور اللـــــــه وتعطيل حضوره في الكون وقدرته العظيمة على تدوين البـيانات . قـال تعالى في سـورة الأنعام الآية ٥٩ (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابـــــسٍ الا في كتاب مبـين) ، يغيب هذا الحـضور الالهي عن كثير من انظمة الحـكم في العالم إذ يتحـركون في ادارتهم داخل دائرة

حـدودها قــدراتهم السياســية والعســكرية والمعرفية المسخرة لديمومة هذا التحـكم العالمي في غياب واضح للفضاء الواسع لإدارة الكون من قبل خالقه الذي صرّحت اياته وكتبه المقدّسة بذلك ..

تبحـث انظمة القـوى الكبــرى عالمياً في تراث وتاريخ المجتمع الذي تريد التحكم بـه ، فتقـف عند مشـكلة أو ازمة فتثيرها من خلال ســيناريو جديد لكي يحـــتدم الخلاف وينشب الصراع داخل المجتمع الواحـد وتتفاقـم المشاكل الى الحدّ الذي لا مجال معه الى حضور الحكمة والحـلّ ، عندها تأخذ القــوى المتحــكمة دور المنقــذ لتعرض وتفرض حلولها التي يراها البعض مقبولة لإنقـاذ الوضع المتأزم بينما يراها المراقب حلولا تخريبية تهدف الى تقسيم المجتمع كما حصل في اليمن والسودان مثلاً .. لا يقف مشروع التقسيم عند تمكين الدول الكبرى ، ولا يقف عند مشاريع استثمارية أو اسـتعمارية وغيرها ، بـل يتعدّاها الى إضعاف الشـــــــخصية في ذلك المجتمع

وطمسـها ، الأمر الذي يصبُّ في مسـار يخضع فيه الناس الى نظام عالمي تفرضه تلك القوى المتحكمة والمتنفذة ، أياً كانت اجندات النظام الجديد المتوقـــع للعالم ، فإن بنية المجتمع المقسّم وشـخصية الفرد فيه تكون اضعف منها في المجتمع الموحَّد ، وهي معادلة نجحـــت في الماضي عندما اشـتغل عليها الإسـتعمار في الشـرق للتحـكم بالبـلاد من الداخل، ثم تطورت فكرة المشـروع بعد خروج المحتل ليصبـح التحـكم عن بـعد شـكلا من أشكال حلَّ النزاع الذي كان سابقا بين ابناء البلد وقـوّات الإحتلال ، ثم صار بين ابناء البلد الواحـد بتحـكم قـوات عالمية لم تعد تسمّي نفسها قـوات احـتلال ، بـل قـوات تحرير وقوات حـلّ النزاع ، وقـوات فرض الأمن وإحـلال السلام وغيرها ..

"إن إبـراهيم كان أمة".. سورة النحل - آية ١٢٠

يختلف الإنســـان عن الكائنات الحـــية الأخرى في انه يتحرك في محيط كوني واسع يمكّنه من تطوير نفسه أو تصغير حجمه ، تبعا لتكوينه البـيولوجي والسـيكولوجي والايديولوجي والثقافي ، فهو لا يقتصر على بيئة معينة أو على وسط محدد . يستطيع الإنسـان ان يتعلم كثيراً من الثقافات وأن يكون عالمياً وهو يعيش في وسط اجتماعي وثقافي خاص ، كما يمكنه ان يصبح أمَّة في عطائه ، فقـد وُصف (قس بن ساعدة الإيادي) بالأمَّة على لسـان خاتم الأنبياء عندما سأل عنه نفرا من بني إياد وقعوا في الأسـر فأخبروه بأنه قد مات فقال فيه: (يحشـر يوم القـيامة امّة وحده) .

استمد الفرد قوّة شخصيته عبر التاريخ من قـوّة عشـيرته وقبـيلته وقـومه وبـلدته وتراثه وتاريخه ، فكلما كثر عدد افراد القوم وكثرت مآثرهم وبـطولاتهم ، كبـرت مكانتهم وهيبتهم في المجتمع ، وفي قـصيدته حـاول السـموأل

وهو شـاعر جاهلي ان يعزو الإنجازات الكبـــيرة الى همّة النفوس التي يتحرك بها الأشـخاص وان كانوا قـلة وليس الى كثرة اعدادهم فقال :

تعيّرنا أنّـا قليل عديدنـــا

فقلت لها ان الكرام قليل

وما قلّ من كانت بقاياه مثلنا

شبابٌ تسامى للعلى وكهول

وما ضرّنا انّا قليل وجارنا

عزيزٌ وجـار الأكثرين ذليلُ

تقـدّم صيغة المبـالغة التي كان يســـتخدمها العرب في مخاطباتهم واحاديثم حيث تقـترن الـ (أنا) بـــ (نحـن) و (انت) بـ (انتم) ، عرضاً جذّابـا من شـأنه أن يحقـق توازناً اجتماعياً تنموياً تحـــــفيزياً . فعندما يخلو مجتمع من أشـــخاص لديهم مساحـــة انجازات تســـاوي ما ينتجه المجموع ، فإن ركوداً يصيب الحـــياة في ذلك المجتمع ، أما عندما يكون في المجتمع من يرقـــى الى مســـتوى

وصفه بـالأمَّة فإن حـركة تدّب في عروق الحـياة في ذلك المجتمع ، اذ يكون بمقـــدور ذلك الشـــخص او اولئك الأشـخاص ان يحـــرّكوا تفكير الناس ويوقـــظوا وعيهم ، والبلاد تعرف بأعلامها كما قيل ، فعندما يصبـح الفرد أمّة وتصبـح الأمّة اكبـــر من مجموع افرادها ومكوناتها يظهر في المجتمع ما يسمى بـــــالنهضة أو القيام . أما عندما تحاط الشخصية بمحدِّدات وتفرض عليها قيود من قبيل الإحتلال أو تقسيم البلاد أو التدخل في شوؤنه الداخلية ، أو الغزو الثقافي ، أو الإقـتصادي . وعندما تصبـح النفس امام إغراءات من نوع مرغوب غير معيوب كالتي يقـدّمها العالم الإفتراضي ، فإنها تكون اقـرب الى قبـول الحـــلول السـهلة أيًّا كانت مصادرها ومتبـنياتها ونتائجها ، وتجدر الإشارة هنا الى ما تقدمت به دراسة لمشـروع عالمي يُراد له ان يتحقق في غضون السنوات العشـر القـادمة ، تقـوم على اسـتعارة حـضور النبـي ابـراهيم في ايمان ووجدان وحـــياة اتبـــاع الرســـالات الســـماوية الثلاثة : اليهودية

والمسيحية والإسلام ، واستثمار ذلك في تقديم حلٍّ لمشكلات النزاع والخلافات والمشاحنات القائمة على اساس الإنتماء الديني والمدفوعة بإتجاه الوصول بالناس الى التذمر والملل منها ، فتأتي الدعوة الى الإجتماع حول نبي الله ابراهيم والإنضمام الى رحلته ، وهي دعوة لا يرى فيها عامة الناس ضرراً أو ما يدعو الى الشكّ ، بل ربما يرونها دعوة نافعة تخلصهم من حالة الملل والتذمر التي يعيشونها بسبب الإنخفاض الملحوظ في مناسيب الصبر والحكمة لدى كثيرين ، وقد سلطت بعض الدراسات والابحاث المستقبلية الضوء على هذا المشروع الإبراهيمي في المنطقة الجغرافية التي توجد فيها اسرائيل ليتضح ان هدف المشروع سياسي اقتصادي يتمحور حول الإعتقاد بما يسمونه دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات ، ولإصطباغ هذا المشروع بلون انساني سلمي ايماني في ظاهره فإن باطنه يخفى على كثيرين حتى من المثقفين واصحاب الرأي ..

قديماً كانت الأسر تعيش في بيت واحد بحكم طبيعة المجتمع والحالة المعاشية ، فهم يجتمعون ليلاً حول الجدّ أو الجدّة يستمعون الى احاديثهم ونصائحهم مستفيدين من خبراتهم ، وكانت كثير من أسطح المنازل بلا سواتر تفصل الجار عن جاره ، او كانت سواتر بسيطة من القماش أو الطين أو السعف ، حيث كانت الثقة وصفاء النية وسلامة الفطرة تشكّل أهم مكونات البنية التحتية القوية التي تقوم عليها الأسرة في المجتمع وعندما توسّعت المدينة وتنوّعت وسائل العيش وتطوّرت سبله وكثر الناس وصار لكل جيل همومه وانشغالاته ، تعرّضت تلك البنية الى الإهمال أو الإندثار ، وبمرو الوقت لم يعدّ لحكايات الجدّ والجدَّة ذلك الأثر وتلك النكهة التي كانت تملىء نفوس الأبناء والأحفاد نشوة وعبقاً يدعم جهاز المناعة فيهم ، فبعد ان تطوّرت وسائل المعرفة والتقنية ومصادر الكسب وصار لكل فرد في الأسرة عالمه وادواته ، تسلّلت الغربة الى

داخل المجتمع الواحـــد والى داخل الأســـرة الواحـــدة وضعفت الثقة وتقنن تعريف الجار الذي حدَّده الإمام علي بأربعين دار من كل جانب ليقتصر على عدد محدود جدا. في تصاميم البـناء الحـديث يرتفع الجدار الفاصل بـــين الجار وجاره الى ما يشبـــه العزلة أو القـــطع التام ، وفي داخل البـيت يعيش أفراد الأسـرة في أجواء تشبـه اجواء الغربة مع الغاء الزمان والمكان ، فالموبايل والإنترنت يشدّ كل واحد من افراد الأسـرة الى جهة بقـوة ضعفت امامها المركزية التي كانت تعمّر بـيوت الأقـــدمين وصار العالم الى حدّ كبير يتولَّى تربية وتعليم الأبناء بدلا عن الأبوين ، اسهم هذا الوضع في إعداد اشـخاص مسـتعدين لقبـول العروض الجذابـــة وان كانت مضللة مثل فكرة (البـــيت الإبـراهيمي) و (الأبـــوة الإبـــراهيمية) الذي تقترحـــه دراسـات تبحـــث في نظام عالمي جديد يجمع شـــمل الموحـدين في مكان عبـادة واحـد يقـيم فيه المســـلم والمسيحـــــي واليهودي صلواتهم كلٌّ على اعتقـــــاده وتشريعه ، وغيرها من الأفكار ..

التحكم بالطقس..

يُخشـــــــــى من خطوات العالم في ظل الثورة العلمية التكنلوجية من ظهور أجيال أعدَّت لها تقنياً أفكار جاهزة وبيانات محـفوظة في ذاكرة العالم الإفتراضي يأخذ منها ما يألفه ويوافق ثقــافته فيبـــــني تصوراته على وفق تلك القوالب الجاهزة . فقد يظهر مع هذه التوجهات أزمات في الفهم والمعنى والثقـة والفكر والثقـافة والقـيم والبـــيئة والصحـة والتعليم والقـيادة والإدارة ، بـدت هذه الأزمات واضحة في اضطراب مناخ العالم بـوجود جائحـة كورونا ، كان منها عزوف كثير من الناس حـــــول العالم عن اخذ اللقاح المضاد للفيروس على الرغم من الضرر الكبير الذي الحقه الوباء بأنظمة الحياة ومفاصلها..

اولى الإنسان منذ القدم اهتمامه بدراسة الإختلافات بين الشعوب كإختلاف اللغات والعادات والثقافات ، ولعلَّه بعد وبـــاء كورونا بحـــاجة الى مزيد من الإهتمام بدراســـة المتشابهات والمشـتركات اكثر من حـاجته الى دراسـة

الإختلافات ، وان ينطلق من هذه المشـــــــــتركات في دراسـاته وابحـــاثه من اجل نتائج تخدم الوصف الجمعي للإنســـان العالمي الكوني قبـــل ان تتمكن مشـــاريع الإســتثمار المالي والعلمي والإقـتصادي والسياســي من تحويله الى رقـم في عالم الأشـياء المستقبـلي الذي يراه مراقبون قادما عبر مشاريع تبحـث في المشـتركات من نصوص وآيات متفق عليها من قبـــل أتبـــاع الأديان السماوية وتقديم هذه المشاريع الى الناس على انها توفر تنمية واستقراراً وأمناً ومستقبلاً للتعايش السـلمي بـين الجميع، بـينما تخفي في ثناياها هدفاً عنصرياً توســعياً يرتبط بمستقـب اسـرائيل في المنطقـة والعالم ، (فكل سكان العالم تقريباً يرون شروط حـياتهم وقـد تحـدَّدت بقـرارات تؤخذ بـعيدا عنهم وهم يخضعون الى ســيطرة اقتصادية وسياسـية وثقـافية تمارس من قبـل سـلطات وقـــوى خارجية انهم يعيشـــــون فعلاً نتائج الظواهر الديمغرافية والطبية البـيولوجية والبـيئية والاقـتصادية

والسياسية التي تغيب عن بـالهم لكنها هي التي تقرّبـهم من الجماعات الأخرى ضحايا المعارضات نفسها..) (١)

في الماضي ، كان الناس يقصدون اكثرهم حـكمة وورعاً ونقاءً ليسـأل الله نزول الغيث عندما يتأخر عليهم ، وكانوا يفعّلون النقـد الذاتي ومراجعة النفس ، لأعتقـادهم ان تأخر هطول المطر مؤشـر على وقـوعهم في الخطأ والمعصية أو على انشـغالهم بـدنياهم عن دينهم فما هو الاعتقـاد الذي سيتشـكل لدى الناس عندما تخبـرهم التقـارير العلمية ان الصين تعمل على بـرنامج للتحـكم بالطقس يتوقع تنفيذه في عام ٢٠٢٥م يقـوم على حقـن الغيوم بـمادة كيمياوية تجعلها تمطر في الزمان والمكان الذي يحـددونه . ان أي خلل في جودة الإتصال بـالخالق يعرّض اتصال الشخص بنفسـه الى الضعف ، ويعرّض هذا الضعف شـخصية الإنسـان الى الإضطراب ، فيكون عرضة

١- كتاب الانثروبولوجي ص٢٠ -

للإصابة بفيروس الأنا الذي اذا تمكَّن منه نقـله الى اجواء افتراضية يرى فيها نفسه مسيطرا متحكماً ، مالكاً ، أنانياً ، حـراً .. تواجه المواطن في العالم اليوم ، تحـــديات كثيرة وكبـــيرة وبـــعضها خطيرة جداً تصل حـــدّ تهديد الذات ومصادرة الهوية وتفريغها من محـــتواها وإعادة شحـــنها بـمضمون رقـمي يوفَّر ضمانا صحّيا للشـــخص المتصل بالعالم الإفتراضي ، ويقال ان جهات تشتغل على شريحة الكترونية منذ الثمانينيات من القـــــــرن الماضي عملها يشبه هوائي الإرسال والإستقبال ، فيها ذاكرة تحوي كل بـيانات الشـخص المادية مثل رقـم جواز السـفر ورقـــم بطاقته التموينية ورقم الفيزا كارت والبطاقـة الشـخصية وغيرها وفيها جزء يعمل على قـــــــــــراءة الموجات الكهرومغناطيسية التي يرسلها الدماغ الى اعضاء الجسم، بمعنى ان الشريحة تحلّل وظائف الجسم ، بـمجرَّد تفكير الشخص القيام بعمل ما ، مرتبـط بـريموت مثل تشـغيل جهاز التلفزيون أو السـيارة ، تقـــوم الشريحـــة الكترونيا

بـــتنفيذ ذلك ، هذا يعني ان المتحـــكّمين بالشريحـــة يتحكّمون بدماغ كل شـخص يحـمل هذه الشريحـة في جســمه ويشــمل التحـكّم ادارة الجهاز العصبـــي ومركز صناعة الفكرة في الدماغ ، وتقول الدراســات ان هذا الأمر يلاقي استحســان كثير من الشبــاب الأوربــي على ما فيه مــن تفاصيــل كثيــرة مــن ضمنهــا العملــة الالكترونيــة وغيرها.. على وفق بعض الخبــراء فإن خطورة الأمر تكمن في امكانية تجهيز الدماغ بـــأفكار يرفضها الشـــخص في الواقع كونها تمسّه من ناحية دينية أو اخلاقــية أو عرفية أو شخصية وهكذا ، لكنها افكار عملية تلبّي احــتياجات البعض وان كانت غير قــائمة على منطق مقبــول ، يكفي انها توفّر الوقــت وتتعامل مع واقــع الناس كما هو ، وليس كما ينبغي ان يكون..

غياب الثقة..

من اقســـى انواع الإعتداءات التي يتعرَّض لها العالم اليوم هو تهديد الثقــة في مختلف مســتوياتها ابــتداء من ثقــة الشــخص بنفســه ، الى ثقــته بالمقربــين منه ، الى ثقــته بالمجتمع ، الى ثقته بالنظام الحاكم ، الى ثقــته بــالنظام العالمي وبالعلاقات المتبادلة مع الآخرين عن طريق غير مباشــر عبــر وســائط اهمّها العالم الإفتراضي ، وفي حــال تحكَّم العالم الجديد بالناس عبــر شبــكات رقــمية ، فمن يضمن ســلامة الإســتخدام ومن يضمن اهلية القــائمين على الشبكات ، ومن يضمن عدم اختراق الشبكة لحــدود الشـــخصية وأســـس بـــناء الذات كل على وفق بـــيئته وتاريخه، هل ســـــــيطرح العالم الجديد تاريخا جديداً وســجّلات جديدة لكل شــخص يدّون فيها معلومات عن حــالته الصحــية وقــدراته الشـــرائية ومعدل اســـتهلاكه لمنتجات شركات الأغذية والمفروشات والألبسة واجهزة الموبايل ومستلزمات الرشاقة والتجميل وغيرها .. اذا كان

العالم الحقيقي لم يضمن لحد الآن وجود ضوابط حماية الأمن والسيادة والخصوصية من اختراقات العالم الإفتراضي على مستوى انظمة وشركات ومصارف عالمية ومعلومات شخصية وتجسّس وتبييض اموال وغيرها ، كان من ابرزها ما تعرّضت له شبكة انابيب نقل وقود أمريكية من هجوم الكتروني ، سبقه خبر موت الأمريكي (بيرلي مالدوف) في السجن وهو يقضي ١٥٠ سنة بحكم المحكمة لإدانته بواحدة من اكبر عمليات النصب والإحتيال في تاريخ امريكا حيث استثمر هذا الشخص نظافة سمعته الممتدة لسنوات طويلة بين الناس واستخدم تقنية متطورة جداً وبرامج حديثة ليحتال من خلالها على مستثمرين وشركات ومؤسسات وهيئات وافراد . يبقى الأمر في كل احواله منوطاً بقبول المواطن موافقته على زرع شريحة الكترونية في جسمه . وعلى قبوله طلب صداقة شخص غير معرّف . وعلى ردّه على رسالة الكترونية من جهة لا تربطه بها صلة . وقبوله

تحـــميل فديو أو كتاب وجده ضمن البـــريد الالكتروني بعثت به جهة غير معرَّفة بالنسبة له يحمل فيروسـا مضراً أو متطفلاً أو معلومات مفبركة وما الى ذلك .. ان استمرار الحذر يأخذنا الى الوعي ، وكثرة الشـك مطلوبـة في زمن يغلب فيه القهر على العدل ، حـيث يقـتضي العقـل عدم الإطمئنان لأي شخص حـتى يتبـين انه من اهل الثقـة كما في قول الإمام علي الهادي (اذا كان زمانٌ العدلُ فيه اغلبُ من الجور فحـرامٌ ان يُضنَّ بأحـد سـوءاً حـتى يُعلم ذلك منه واذا كان زمان الجور اغلبُ فيه من العدل فليـس لأحد ان يَضنَّ بأحدٍ خيراً ما لم يعلم ذلك منه) ..

لماذا ازدادت معاناتنا في زمن تطور وسائل الإتصال والمعرفة..؟!

ان اتصال وتواصل ابناء المجتمع الواحد فيما بينهم وبين مجتمع أو مجتمعات آخرى يعطي المجال لشتى اشكال التبادل الثقافي والترفيهي والإجتماعي والمعرفي في جانبيه الإيجابي والسلبي ، وقد لا يُخشى من توسع نوع الإتصال هذا عندما يتحدُّد بضوابط وقوانين تلزم المستخدمين في العالم الحقيقي والعالم الإفتراضي ، وتأخذ بعين الإعتبار اختلاف مستويات الناس المعرفية والعمرية وميولهم وتطلعاتهم وطبيعة بيئاتهم وحالاتهم الإجتماعية والإقتصادية وأهمية الثنائي السيكولوجي والبيولوجي لكل فئة من فئات المجتمع أو مرحلة من مراحل النمو البشري ، فبإمكان الجهة المسؤولة عن شبكات الإنترنت والإتصالات الإشراف على محتوى العالم الإفتراضي ووضع علامات منع على بعض المواقع والشبكات التي تتسبب في تهديد سلامة بناء الشخصية

خصوصاً لدى الأطفال والطلبة والشباب ، وبثّ نشرات توجيهية تحذر مستخدمي التقنيات الحديثة من وجود اخرين قد لا يكونون بمستوى العفوية وسلامة الفطرة التي يتمتعون بها . يبدو ان كثيراً من انظمة الحكم في العالم لم يعد بوسعها السيطرة على كل ما يستطيع مواطنوها الوصول اليه في العالم الإفتراضي سواء كان ذلك مقصوداً من جانب الحكومة بسبب ضعفها أو إهمالها أو لغايات تريد تحقيقها ، المهم في النتيجة ان المواطن يمضي راغباً أو مكرهاً في طريق لا يتوقع له الخبراء نهاية آمنة فيه .

من الاعراض الجانبية لثورة العلم والتكنلوجيا انها عرّضت حياة الناس الى الخطر من خلال بعض التقنيات المتطوَّرة المتاحة للجميع ، فمثلا هناك برنامج google earth الذي يقدم معلومات جغرافية دقيقة لكل مناطق ودول ومدن العالم تصل دقّتها الى تحديد اسماء المناطق والشوارع سهّلت على بعض المسلحين وذوي

النوايا السـيئة والميول العدوانية تنفيذ هجمات واعتداءات على مناطق واشـخاص . ويرى مراقبـون ان احداث ١١ من سبتمبر اتاحت لامريكا استخدام تقنيات متطورة لمراقبـة شبـكات الاتصال ومواقـع الانترنت في مختلف انحاء العالم (عندما تحدث جورج دبليو بوش عن نظام عالمي جديد فإنه قـصد ببسـاطة ان النظام الغربـي القديم سيتوسع على امتداد العالم كله ... لقـد اشـار وزير خارجية الولايات المتحدة جيمس بيكر عام ١٩٩١م الى ان العالم كان يتجه نحـو الدخول في نظام مركزي تمر فيه كل الدول عبـر الولايات المتحـدة من اجل الوصول الى وجهتها المقـصودة . ولكن ثمة وصف افضل لعالم القرن الواحد والعشـرين وهو انه عالم ذو مسـالك متنوعة تُرسم خطط الرحلات فيه كل يوم ...) (١) ..

يُتوقع وجود قرابة ملياري جهاز يتصل بـالانترنت في عام

١- عالم ما بعد امريكا - فريد زكريا - ترجمة بسام شيحا - الدار العربية للعلوم - لبنان - بيروت ط١ ٢٠٠٩م

٢٠٢٠م ، ويتوقع ان كثيراً من مستخدمي هذه الأجهزة يعانون انخفاضاً في نسبة وعيهم بكيفية حماية اجهزتهم، على الرغم من وجود برامج لمكافحة الفيروسات وبرامج تحذر من احتمالات وجود غرباء غير مرغوب فيهم يرسلون رسائل الكترونية محتواها سيء أو خطير حيث يقوم الجهاز بتنبيه صاحبه ليتحاشى فتح الرسالة حفاظاً على سلامة الجهاز ومحتواه .. تأتي درجة الخطورة من وجود اهداف ومشاريع لأشخاص أو جهات أو منظمات تريد استخدام وسائل الإتصال الالكتروني والتواصل الإجتماعي لأهداف سياسية أو إقتصادية قد تقتضي احياناً اختراق الخصوصية والبنية الإجتماعية بنصوص ورسائل ومواضيع تزرع الشك وقلة الثقة بين الناس وقد لا ينتظر ان تحقق نتائج سريعة بقدر ما هي تستهدف جيلاً هم اليوم ابناء صغار يستخدمون الموبايل ويتصفحون الإنترنت لأجل اللهو أو التطفل أحياناً ، فتعلق تلك الفيروسات في الذاكرة ، حتى اذا كبروا بدأ

مفعول التلوث الفيروسي فترى الشخص يتصرف في الشارع والبيت تصرفات تجعل اهله ومحيطه في حالة قلق. وقد سُجّل على بعض اولياء الأمور عدم درايتهم الكافية بما يحصل مع ابنائهم وكيف يصنعون حاضرهم ، مبررين ذلك بإختلاف الظروف الزمانية وأدوات العصر ، متجاهلين أو متناسين وربّما معترفين بقصور دورهم الأبوي في تنشئة ابنائهم على تقوية اتصالهم بأنفسهم ، لأن انقطاع أو تشوّش اتصال الشخص بنفسه ، يعرّض شخصيته الى الإضطراب وابتعادها عن حالة الإتزان وهو واقع الحال الذي يمكن ان ينجرف بسببه بعيدا عن السلامة الفكرية والنفسية والعافية الأخلاقية والأدبية والإجتماعية . لعل واقعنا اليوم يشهد كثيراً من المشاكل على الرغم من وفرة وسهولة تقنيات الإتصال ومصادر المعرفة والخبرة ، فهناك اعداد كبيرة من الطروحات والكتب والبحوث والمؤلفات ، لذا فإننا بحاجة الى اعتماد معيار حقيقي موثوق به للخروج بنتائج مفيدة تخدم

نهضة الواقـــع . فللفكرة الواحـــدة آراء عدّة ، هناك رأي الجمهور ، ورأي الإختصاص ، وهنـاك الـرأي الأكاديمـي والرأي الثقافي ، وهناك رأي القـوى المتنفذة . يحـوجنا ذلك الى الوقوف على إرث الأنبياء ورسـالاتهم والنظر في تجاربهم واخبـار ازمنتهم واعتمادها في معايرة صحـة أو انحراف مساراتنا الراهنة . اننا نشهد اليوم زخماً كبيراً من المعلومات ، وحشـداً اعلامياً واسـعاً ، وتغطيات اخبـارية متواصلة ، ونشرات اقـتصادية وتقـارير سياسـية متنوعة ولقـاءات موسـعة وحـصرية وخاصة ، اسـهم كل ذلك في تشويش رؤية الفرد وعدم وضوح صورة المشهد الحـياتي الذي يعيشه الناس بشـكل اخذ معه عامل الثقـة يتدارى في الخلف او يختفي في كثير من المشـاهد . في حـــياة كثيرين منَّا تقـف ظروف وضغوطات عامة واخرى خاصة عائقـا أمام تمكين الشـخص من ايجاد فسحـة أو وقـــت للبحـث أو فرصة للكشـف عن الحقـــائق والوصول اليها ، ونتيجة لذلك فهو يعيش حـــالة القـــلق ، وكلّما مرّ عليه

الوقت وهو على هذه الحالة ، نفد صبره ، وكلما قلَّ رصيد الصبر اصيب يقينه بالوهن ، وهو ما يعرّض منظومته البايولوجية الى ضعف في المناعة يهدّد استقلالية التفكير فيه ويعرِّض قراراته الى المجازفة دون دراية كافية تاركا المجال للوقت كي يحكم على صواب تلك القرارات من عدمه ، وفي كل الأحوال يتحمل وحده والذين يعنيهم الأمر تبعات تلك القرارات على الرغم من دور البيئة والظرف المكاني والزماني المحلي أو الاقليمي أو الدولي في وصوله الى هذه النتائج .

من اجل الإبقاء على اوهام الجماهير ..

يشهد العالم في العقود الأخيرة صعوداً مقلقاً لمعايير منحطة ومفاهيم مغلوطة واشخاص فاشلين على مستوى القيادة وادارة الدولة في غياب ملفت للأداء الإنساني الرفيع والمهنية الحرّة والقيم العليا التي كانت موضع اعتزاز الشخصية في اي مكان في العالم..

قبـــل الإســـلام كان الناس يضعون معايير يشـــترطون توافرها فيمن يتصدى لقـيادتهم ولإدارة شـؤونهم . اورد اليعقوبي في تاريخه عن العرب قبل الإسلام قوله:(وكان للعرب حـــــكّام ترجع اليها في امورها وتتحـــــاكم في منافراتها ومواريثها ومياهها ودمائها لأنـه لـم يكـن ديـن يرجع الى شرائعه فكانوا يحـكّمون اهل الشـرف والصدق والأمانة والرئاسة والسن والمجد والتجربة..) (١) .

على الرغم من ســـهولة توافر المعلومة التي يتصف بـــها عصرنا الحـــالي ، تصدّعت منظومة القـــيم والأعراف في المجتمع وتعرّض الذوق الى الطعن في جمالية النفـس ، وغلب على صناديق الإقـــتراع في العالم العربـــي صعود كثيرين من اصحـــــاب التفكير المحـــــدود والكفاءات المتعثرة بحيث يضيع واحـدهم امام حـجم المشـكلات الكبـرى التي تواجهه فيهرب منها بالترقـــيعات الإدارية والتصريحات التخديرية والوعود الكاذبـة لكسـب الوقـت

١- تاريخ اليعقوبي ج١ ص٢٢٧

من اجل استحكام الحلول الترقيعية في منظومة التدبير في الدولة والحكومة ، واخذ العالم يتجه صوب سوق الإقتصاد واخذت حقوق كثيرين تضيع في عالم الأرقام المجرّد الخالي من المشاعر الإنسانية ، عدا تلك المصطنعة والمعلبة التي ينتج عنها مشاريع مساعدات مقصودة لكسب الزبائن والمعجبين والعملاء للعمل في مشروع استثماري اقتصادي أو ثقافي أو سياسي حسب توجهات اصحاب المنح ..

خداع الناس ..

حين شنّت حربها على العراق سنة ٢٠٠٣م ، ادَّعت أمريكا انها تبحث عن اسلحة الدمار الشامل ، وحرصا منها على سلامة الأمن العالمي فقد قررت إنتزاع ذلك السلاح من يد النظام العراقي انذاك ، وعندما اتضح للعالم ان لا وجود لما ادعته امريكا ، كان المجتمع العراقي ينزف كل عام ما بين ٣٥٠٠ الى ٤٠٠٠ طفل يموتون بمرض السرطان

الذي سببته - حسب مصادر طبية - حـروب امريكا التي وصفها جورج دبلو بوش: بأنها حملة ايمانية مباركة يجب القيام بها وواجب الهي مقدّس اكّدت عليه نبوءات التوراة والإنجيل .. ذات يوم القت السـلطات القبـض على النبـي عيسـى بـتهمة الإخلال بـالأمن وادخلت النبـي يحـيى السجن بتهمة ازعاج السلطات ..

ذكر وزير التخطيط العراقي سنة ٢٠١٦م ان نسبة الفقـر في العراق ازدادت بنسبة ٣٠٪ والبطالة ٢٠٪ .

في اليمن يعيش ٧٩٪ من السكان تحت خط الفقر بسبب الحرب التي تخوضها السعودية وحلفاؤها والتي تسهم في تمويلها الولايات المتحـدة الأمريكية التي افادت تقـارير واحصائيات ان ١٢ مليون طفل امريكي يعيشـون تحـت خط الفقر ، و ١٤,٣ مليون امريكي يعيشون على بطاقـات حكومية مدعومة لشراء الطعام..

في بـريطانيا يعيش ١٤ مليون شـــخص في فقـــر ، وفي فرنسا يعيش ٩ مليون فرنسي تحت خط الفقر ، وحسـب

ارقـام الأمم المتحـــدة في ٢٠١٥م فإن ٢٦٪ من ســـكان العالم يعيشون على اقـل من ٣,٢ دولار للفرد يومياً ، وفي عالمنا العربي وبسبب ظروف المنطقة غير المستقرة فإن ٨٣ % من السوريين يعيشون تحـت خط الفقـر حسـب ارقام الأمم المتحدة في تقريرها سنة ٢٠١٩م .. في مصر ٣٢,٥ % من السكان يعيشون حـالة الفقـر وفي تصريح لأحد المرشحين للإنتخابات الرئاسية المصرية قال(على المصريين ان يأكلوا رغيفاً واحـــــداً في اليوم) . ٣٣٪ من اللبـنانيين فقـراء حسـب احـــصاءات ٢٠١٨م . وذكرت احدى الصحـف اللبـنانية في ٢٦ شبـاط ٢٠١٨م : (لكن وحسب ما بدا واضحاً حتى "الرحمة" تتحول الى "نقمة" عند ابـــناء مدينة طرابـــلس الذين يعانون الأمرّين جرّاء الأوضاع الإقتصادية السـيئة التي يتخبّطون بـها ، فكيف بـالإمكان دفع فواتير تفوق قـدراتهم المادية ..) ، ونسبـة الفقر في السـعودية ٢٥٪ وفي السـودان ٤٦٪ وفي ليبـيا يعيش ٤٥٪ من الأسر تحت خط الفقر ..

بين وفرة المعرفة وغياب القيمة العلمية ..

يقول المؤرخ توينبي Toeynbee : بالعلم يستطيع الانسان ان يفهم ويتعامل ويعالج مشاكله مع الطبيعة والتاريخ والمجتمع وبالدين يستطيع ان يتغلب على ذاته..

تقدّم اغلب الجامعات ، مادة علمية دقيقة متخصصة في مجالات مختلفة ، على حساب القيمة العلمية لتلك المادة في كثير من الأحيان. فبينما تسهم قيمة المادة العلمية في بناء الشخصية ، تسهم المادة العلمية البحتة في تغيير الوضع الإجتماعي والمالي للشخص ، ففي العراق مثلاً انشغل تفكير الطلبة وعوائلهم بالمجموعة الطبية حيث ضمان التعيين بعد التخرج ، وحيث المورد المالي العالي الذي يتمتع به الطبيب في الوقت الراهن ، تسبب هذا الإنشغال في تدنّي القيمة العلمية للمادة التي يدرسها الطالب بعد ان ادخلت وسائل غير سليمة لتحقيق الهدف ، فصار مألوفا بين الناس اقتران الجشع

بالطب ، والإستغلال بالصيدلة ، وفي الوقـت الذي يمضي فيه العلم بـــإتجاه التخصص الدقـــيق ، يأخذ تمويله من مشاريع تجارية لجهات ربَّما لا علاقـة لها بـالعلم وقـيمه اكثر منها اســـــتثمارات مالية ، فصار الســـــوق يفرض تخصصات معينة يوفر لها منحا دراسية ، ويموّل دراسات وابحاث تخدم الرخاء الإقتصادي للممَّولين ، هكذا صارت الجامعة تنتج خبراء مختصين في علوم دقيقـة يخدمون بها حاجة السوق اكثر مما يخدمون بها حـاجة المجتمع ، إلا اذا صادف التقاء حاجة السوق بحـاجة المجتمع وذلك لأن الواقع السياسي والاقـتصادي والاجتماعي والثقـافي يضطرهم الى هذه الحـــاجة ، وبـــذلك قـــد لا نجد مكانا للإســـــتغراب من اســـــتغراق المجتمع في الجهل والأمية والتخلف والظلم والفساد المالي والإداري والفشل مقابـل اعداد كبـيرة من خريجي الجامعات وحـملة الشـــهادات العليا والتخصصات النادرة والدقيقـــــة وآلاف البحـــــوث العلمية واطاريح الماجســتير والدكتوراه . (عندما لا يرى

المواطنون والمفكرون والعلماء في انفسهم سوى تروسٍ في آلة كبرى ، فإن هذه الآلة تأخذ بعداً بطولياً ، فيما تجمع في ذاتها جميع قوة العمل المتاحة لها . هذا لأن " السلطة الفيزيائية والصناعية العظيمة " تعرف كيف تخضع الأكاديميين لسلطانها حتى يصيروا موظفين عندها فيعملون لزيادة ارباحها) (١) لذا استغرب الناس فشل وزير الكهرباء العراقي في وضع حل ينهي به مشكلة الكهرباء وهو مهندس مختص في هذا المجال ، وكذا بقية المجالات حتى تهدّدت ثقة الناس بالسلطة وبمخرجات العملية السياسية ، ولشدّة عجز الحكومة عن مداواة هذه العلّة من جهة ، وشدّة تشبثها بالسلطة من جهة اخرى أغفلت الحسّ الجماهيري وتجاوزت وعي الناس ومعاناتهم فاتّهمت مياه الأمطار بتلف ملايين الدنانير في خزينة البنك المركزي العراقي ، واتّهمت

١- نظام التفاهة - د. الن دونو - ترجمة د. مشاعل عبد العزيز ص١١٧ - دار سؤال للنشر - بيروت - لبنان - ٢٠٢٠م

الطيور بـــاختفاء اكثر من ٦٠٠ طن من الحـــــنطة في سايلوهات محافظة النجف وأمرت بتشكيل لجان تحقيق ولجان متابعة ولجان تقصي ولجان تدقيق ولجان إشراف ويمرّ الوقت واذا بالسلطة تكسب عمرا اطول ونفوذاً اكبـر وقـدرات اكثر بـينما يفقـــد المجتمع ارواح كثيرين من ابـنائه . في حـادثتين متشابـهتين في زمنين مختلفين قبل وبـعد تفشـي وبـاء كورونا ، في الاولى اودى حـريق بحـياة اطفال في مستفشـى اليرموك ، وفي الثانية اودى حـــريق بحـــياة مرضى مصابـــين بـــفيروس كورونا في مستشـفى ابـــن الخطيب في بـــغداد . امرت الحـــكومة بتشكيل لجنة للتحقـيق في اسبـاب الحـادثتين كل في وقـتها . مرّ الوقـت على حـادثة مستشـفى اليرموك وعلى ارواح الأطفال الصغار دون ان يبـــدو في افق الحـــكومة موقـف يوازي حـجم المصاب الاليم ، لكنها قـررت اقـالة وزير ومدير الصحة ومدير مستشـفى ابـن الخطيب ، وهو قرار رآه كثيرون يتزامن مع قرب موعد الانتخابـات . فلو

كان للوعي السياسي نصيب في ادارة البـلاد لما تجاوزت العقوبة المقـصرين في الحـادث الأول وغيره ، حـتى وان كان قـد وقـع في عهد حـكومة سابقـــة ، فالإنســـان هو الإنسان لا يختلف على مضمونه المكان ولا الزمان ..

الخطاب الديني والخطاب السياسي ..

تسببت بعض الخطابات الدينية والسياسـية المتشـنجة والمتطرفة في تعريض عدد من محـــدودي التعليم الى الإصابـــة بإنحـــراف ســـلوكي أو فكري . يتمتع كل من الخطاب الديني والخطاب السياسي بحـضور ملموس في مجتمعاتنا العربية الإسلامية ، فالسياسة مرتبطة بـعصب الحـياة اليومية للناس والدين لصيق اعراف المجتمع فهو حـاضر في حـياة الناس ، ان لم يكن في بـعده الروحـــي الإنساني ، ففي بعده الطقوسي الروتيني..

ساق أحد الخطبـاء شـاهداً من صفحـات التاريخ ، يروي عمق ايمان عمر بـن العاص ، فقـال ان ابـــن العاص كان

يشكو الماً في أحد اصابع قدمه فأشار عليه الطبيب بوجوب قطعه لكنه رفض ، فخشي المقربون منه على سلامته فانتظروا قيامه الى الصلاة حيث عُرف عنه استغراقه وانقطاعه عن عالمه وبينما هو ساجد اجرى له الطبيب الجراحة اللازمة ..

يبدو من سياق القصة ان الخطيب أراد ان يظهر ابن العاص على قدر عالي من الإيمان والزهد وهي الصورة التي يحب ان يراها الناس في رجال السلطة ، لكنّه وهو منغمس في تحقيق هدفه ، أساء الى جوهر الإيمان وعرّضه الى شيىء من الوهن في نفوس بعض المتلقين ممّن قرأوا تاريخ ابن العاص فتقاطع عندهم فعل ايمانه العميق الذي تحدّى فعل التخدير في صالة العمليات ، مع ما ذكره عنه برهان الدين الكتبي في كتابه (غرر الفصائح الواضحة) في ص٣١٥ في باب من رغب عن المكارم في ارتكاب المحارم ، حيث اورد حواراً بينه وبين معاوية أيّام خلافته: قال عمر لمعاوية ما أشد حبك

للمال.. اجابه معاوية : كيف لا احبه وقد استعبدت به مثلك واشتريت به مروءتك ودينك ..

يبدو ان الخطيب أراد عبر إعلام السلطة التي كان ابن العاص احد عقولها المدبرة ، ان يسوّق للجماهير اصطباغ السلطة بالدين وتحليها بالإيمان كما في دساتير كثير من بلدان العالم العربي الإسلامي حيث تتصدر عبارة - الإسلام دين البلاد الرسمي - فقرات الدستور ..

ان وصول التيارات والأحزاب الإسلامية الى السلطة بعد احداث الربيع العربي ، دفع الناس باتجاه شكل من أشكال النفور أو الإنكماش من إسلام السلطة ، وكان للنشاط الإرهابي لجماعات داعش دوراً مؤثراً جداً في هذا التوجّه الشعبي عند الناس لمّا لمسوا غياب البعد الإنساني في اجندات إسلام السلطة ، وانتبهت الجماهير الى ذلك فلم يمهلوهم في مصر على الرغم من وصول حزب الاخوان المسلمين الى السلطة عبر الإنتخابات التي اعقبت تنحي (حسني مبارك) عن الحكم ، وطالبت

الجماهير في تونس بـــإعادة الثورة .. وتســـــاوى المعمم السياسي مع غيره في نظر كثيرين عندما فشل عملياً في اعطاء وجه انساني متحضر للإسلام في ادارة البلاد ..

في الوقت الذي كانت المرأة الزانية تلتمس عند المسيح عفواً وطلبـاً للمغفرة ، تذكر احـــصائيات حـــديثة ان ٢٤ مليون امرأة تمارس البغاء تحت غطاء قانوني رســمي في المملكة المتحـدة والولايات المتحـدة الامريكية . واكثر من مليوني رسالة اباحية يتم ارسالها يومياً عبر الانترنت . وحـــوالي ٧٠ مليون شـــخصاً من مســـتخدمي الانترنت يدخلون الى مواقع اباحية وان هذه المواقع تحقق ارباحـاً بـمليارات الدولارات .. وفي الوقـت الذي دفعت الطاقـــة الروحـــية الإيمانية التي بـــثها وجود النبـــي الخاتم في المجتمع بإمرأة الى ان تقف بـين يديه معترفة بارتكابـها الخطيئة ، ســـعياً منها لطلب الصفح والمغفرة على الرغم مما يمكن ان يترتب على خطوتها هذه من احـــــتمال التعريض بســـمعتها كإمرأة ، لكن انشـــغالها بســـموّها

الروحـي وتهذيب النفس دفعها لذلك .. تسـجل احـدى التقارير عن موقع جوجل ارتفاع عدد مشاهدات المواقـع الإباحية في العالم العربي مقارنة بـدول اخرى في العالم ، وارتفاع جرائم الزنا والتحرش والإبتزاز وتدني ملحوظ في حضور السمو الروحي والاعتداد بالنفس..

ان ثقـافة المجتمع الإنسـاني تنشـأ وتتطور من تراكم القيم التي يقدّمها ابناؤه ، وهذه القيم تتوقف على تفعيل ثلاثة انواع من الاتصال دون تعطيل او تفضيل اي منهـا ، وهي اتصال الإنسـان بنفسـه ثم اتصاله بـالله الواحـد ، ثم اتصاله بـالآخرين ، واي تعطيل او تفضيل لأحـد هذه الإتصالات على غيره يعرّض منظومة الفرد وبـالتالي منظومة المجتمع الى احتمالية تحوّلها الى سلعة خاضعة لضوابط السوق العالمية اقتصاديا وسياسـياً وثقـافياً ، وهو ما يحـوّل المجتمع الواحـد الى تجمعات بشـرية معرضة للتسليع أو الرقمنة ، عند ذاك لا يعود الإنسان يشكّل ثروة بل يصبح مستهلكا فاقداً لقيمته الحقيقية ..

الإعلام السلبي..

عملت الرسالات السماوية على اثارة الحـرص الذاتي عند الإنسان بالرغبة في النهوض بواقعه والإنتقال بنفسـه من مرحـلة البشـرية الفطرية المادية الى مرحـلة الانسـانية الواعية .. ان ما نشهده اليوم من وسائل اتصال وخطابـات وامبريالية اقتصادية ورداءة تعليم وإعلام ، وصحـافة ربـح وخسـارة ، ينعكس سلبـاً على المجتمع ، فينتج قـرّاء أميين ، ومعجبين فاشـلين . فعندما تقـدَّم قـناة فضائية مذيعين لا يمتلكون شـخصيات مؤثرة جذابـة بقـدر ما يمتلكون مظاهر جذابة ، يصبح بمقدور مذيعة جميلة بلا محتوى ، ومذيع وسـيم تافه ، ان يلفت انظار الناس اليه ، وبذلك لم يعد بوسـع كثير من القـنوات الفضائية تقـديم قـيمة فنية وجمالية للعمل ، اغنية كانت أو انشـودة أو موضوعا أو لوحة فنية أو اسـتعراضاً تمثيلياً أو مسلسـلاً ، يشـكل هذا خطراً على سـلامة المجتمع ، فالكوميديا التافهة والدراما البائسة من شأنها ان تعطل حركة النهضة

الإجتماعية في البلاد.

لم يعد الفنان المشهور يحتفظ بـالرصانة التي كان عليها في الماضي ، فهو اليوم لا يعارض تقـــديمه اعلاناً تجارياً مبتذلاً لعلاج السمنة أو النحافة أو الذكورة وغيرها، بينما الفنان الذي يعيش رســـالة فنّه كان يعتني بمحـــتواه الشخصي ومستواه الفني اكثر من دخله الشهري .. يسهم التلفزيون مع غيره في اعطاء الجمال معناه الصحـــيح أو العكس ، وهذا ينعكس على واقع الحـال، فكثير من فئات المجتمع المتنوعة لم يعودوا يتفهمون المعنى الحقيقي للجمال بـــعد ان هيمن عليهم جمال الشـــكل والأداء الخارجي ، وهيمنت شاشـــات العرض ومواقـــع التواصل الاجتماعي ووسـائل الاتصال في تحـويل اشـــخاص غير كفوئين الى رموز ومشاهير يقلّدهم العامة ويقـتدي بـهم الصغار الى الحد الذي يبدو فيه الزمن مصابا بالعقم وكأن الحياة لم يعد بوسعها ان تكون ولآدة كما في السابق ، ولم يعد بوسع القـنوات الفضائية والصحـافة والإعلام البحـث

عن مصادر الحقيقـة وعن الشـــخصيات النزيهة والكفوءة لتعريف الناس بهم ..

في اجواء الحظر المفروض بسبب جائحـة كورونا عرضت وسـائل إتصال وقـنوات فضائية جهود مذيعين ومذيعات وهم يتّصلون بشخصيات مشـهورة على وسـائل الإتصال والسوشيال ميديا ويسألونهم اسئلة من قبيل ماذا تطبـخ في اجواء الحـظر ، وكيف تقـضي وقـــتك داخل البـــيت وجاءت اجوبـــة كثيرين منهم تافهة لا ترقـــــى الى ما يتمتعون به من شعبية جماهيرية ..

عندما تمكن من السلطة اشخاص لا يرتقون الى مستوى وعي القيادة وحضور الفكر المسؤول واجهتهم المشاكل وتفاقمت يوماً بـعد يوم بسبـب عجزهم عن مداواة جراح واوجاع الناس وبسبـــب الإستجابـــة لإغراءات الســـلطة ومكاسبـــها المادية وما توفره لهم من حـــماية تقـــيهم المسـاءلة وتحـفظ لهم وجودهم في السـلطة على الرغم من تعثرهم المتواصل وتزايد المشـــاكل التي وصلت في

بعضها الى مستوى الإشكاليات بحيث يصعب حلّها ، دفعت هذه الأحداث السلطة الفاشلة الى مخاطبة الجماهير بلغة جوفاء تتناول الحقائق والهموم والمعاناة وتنطق بها بالفاظ مكررة مثل توفير الخدمات للناس وتحسين الكهرباء وتوفير فرص عمل للشباب ومنح رواتب للعاجزين والعاطلين عن العمل وتوفير سكن ووظائف وغيرها من الوعود التي تعطي انطباعا للناس ان الحكومة معنية بهمومهم وتبذل جهدها لتدارك الإخفاقات لكنها في الواقع تسهم بهذه اللغة في تثبيت تلك الإخفاقات وتعويد الناس على استبدال وصفهم فشلها في السلطة بجهودها التي تبذلها ، واذا لم تنجح فليس لتقصيرها ، بل لحجم المشاكل الكبيرة التي خلفتها الحكومات السابقة ، هكذا يتم خداع الناس واستغفالهم ، بينما حقيقة الأمر انهم يمثلون سلسلة مترابطة من فاشلين يرتقون الى السلطة يدعمون بفشلهم توطين المشاكل ليعتادها المجتمع ويتعايش

معها.

يسهم انتشار وباء كورونا وبالتزامن مع الأزمات العالمية سياسياً واقتصادياً ، في دفع العالم باتجاه الفقر في مختلف مناحيه ، واشدّ حالات الفقر على الشخص هي ضنك العيش والجوع لأن من شأن ذلك ان يدفعه باتجاه القبول بأوطأ العروض وأسهل الحلول وان كانت غير ملائمة أو غير صحيحة ، يكفيه انها حلول تنتشله من الجوع الذي ينتج عنه الفقر والأمية ويتسبب في ترك المدرسة عند الاطفال ، لكن الخطورة الاكبر تأتي من الفقر الجمعي الذي يهدِّد المجتمع بوجود الوباء ومجهولية امده وتأثيره في الناس يضاف اليها مخاوف ما بعد اخذ اللقاح والقلق الذي سيرافق كل شخص وهو يخطو نحو المستقبل ، فلكي تعود عجلة الحياة الى الدوران قد يندفع الناس باتجاه القبول بأيسر الحلول واسهلها أيا كانت نتائج ذلك القبول ، يكفي انها حلول تخلّص الناس من الوضع القلق البائس الذي وجدوا

انفسهم فيه مع ظهور وبـاء كورونا الذي تراه بـعض الآراء يتوافق مع هذه الأزمات العالمية كي يضطـر النـاس الـى قبول الحلول المعدّة أو المقترحة من قبـل المتسـلطين على انظمة العالم والمتحكمين بإقتصاد السوق .

يقول الإمام علي عليه السلام: (أأقنع من نفسي بأن يقال هذا امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر ، أو اكون لهم أسـوة في جشوبـة العيش) (١) . في العراق وفي كل صيف تتكرر نفس المعاناة ، انقطاع متكرر مسـتمر للتيار الكهربائي ، قصور وضعف في الطاقـة الكهربـائية المزودة للناس ، تذمر وشـكوى وتظاهرات يشـهدها الشـارع كل عام يقابـلها تصريحـات تنم عن مسـتوى متدني للمتصدين لإدارة شؤون البلاد ، في احدى السنوات علق رئيس الوزراء تردي خدمة الكهربـاء على شـمّاعة بـعض الأشخاص الذين يشغلون اجهزة تبـريد في حـمّاماتهم ،

١- شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد - ج٣ ص٧٢

بـينما في الواقـع تسـتخدم السـلطة هذه اللغة من اجل النزول بمستوى الناس الى حدّ قبـول التفاهات على انها المستوى المتعارف عليه والذي ينبغي قبـوله والتعايش معه ، إذ لا سبيل آخر تنتهجه الجماهير غير التظاهرات ، ولأن النظام العالمي للسياسـة يتوقـع ظهور هكذا ردود افعال من قبـل الناس ، لذلك وفّرت الإسـتثمارات عروضا ومناقـصات على اختلاف موديلاتها ومواصفاتها تخدم زيادة الأربـاح التي منها بقـاء الفاشـلين والمتعثرين في السلطة ولكي تجعل الناس يتقبلون هذا المناخ السياسي فإنها تعمد الى تغيير هذه الحـكومة وتشـكيل حـكومة جديدة من نفس الأحزاب التي شكلت الحكومة الفاشـلة التي تظاهر الناس ضدّها ، لكن الوقت يفعل فعل التخدير في الشـارع ، كما يعلمون ان الناس سيكتشـفون هذا التلاعب وسيزداد تنديدهم ، وقد يرتفع سقف مطاليبهم ليصل كما في آخر تظاهرات في العراق الى إقصاء جميع الأحـزاب عن السـلطة ، فقـد عمدت الى طرق متنوعة

كإختراق التظاهرات وتوزيع المال على متظاهرين من قبل موظفين في السفارة البريطانية والامريكية كما ذكر بعضهم ، الى مراقبة الناشطين واعتقالهم او اختطافهم وافتعال مشاهد معيبة او مخزية داخل ساحات التظاهر ونقلها على انها سلوكيات بعض المتظاهرين لتشويه حراكهم ودخول بعض احزاب السلطة الى التظاهرات مدعيةً تضامنها مع مطاليب المتظاهرين ، وغيرها كثير من الطرق التي يقترحها سوق السلطة ويراها مناسبة حسب الحالة التي يرونها ضمانا لتسويق السلطة الفاشلة وترويج قبولها او تقبلها بين الناس ، حتى عندما طالب المتظاهرون بأشخاص مستقلين وكفاءات لم يسبق لهم الإنتماء لأي حزب من هذه الأحزاب ، كانت السلطة تبحث عن مستثمرين تبرم معهم عقود المرحلة الحرجة حسب نسب الأرباح والمكتسبات والمزايا ، فكانت ترفع أسماء اشخاص تنطبق مواصفاتهم على احتياجات الجماهير أو قريباً منها ، حتى اذا ما تمّت الصفقة اكتشف

الشارع ما مارسته السلطة من غش في المواصفات وان الصفقة مشبوهة ، هكذا استمر وتطور الحال في العراق لأكثر من عقد من السنين وهو وقت طويل يسمح بتفسير قول (عدي بن حاتم الطائي) لمعاوية (جور زمانكم عدل زمان يأتي) اي ان الظلم الذي تمارسه السلطة سيصبح عدلاً بعد ان يمرّ عليه الوقت ويأتي جيل جديد يرث واقعاً سيئاً دون ان يدري انه كذلك حتى يمرّ عليه وقت آخر يصبح معه التغيير أمرا مستحيلاً خصوصاً وان العصر الجديد يستخدم تقنيات متطورة تخدم مشروع سلطة التافهين ، فإذا تمكن معاوية من السيطرة على الحكم مدّة طويلة بسياسته فإن التقنيات المتطورة وشبكات الإتصالات ستمكن ابن العاص من بسط نفوذ نظام سيده الى امد غير معلوم والى مساحات تكاد تشمل كل الأرض ، الى حدّ التساؤل : هل يستطيع الإنسان في المستقبل ان يفكّر بحرية ذاتية غير متحكم بها ؟

هل يستطيع الإنسان صناعة قراره بنفسه ؟

ام ان هناك مدى محـدوداً يمكنه التحـــرك فيه ، متوهماً بأنها حرية شخصية وملكية فكرية وإرادة حـرّة .. بـعد ان كانت القـــوة النووية سببـــــاً في الهلاك والتدمير ، صار بـالإمكان اسـتخدامها للخير ، ولكن من يحـدّد الاختيار بين هذين الحدَّين الخطرين جدا ما بين الهلاك الجمعي للوجود البشري وبين تنمية وازدهار هذا الوجود ..

التزييف العميق ..

هل سيكون الواقع في العالم الرقمي هو كل حصيلة الفرد وتاريخه . بـمعنى انه اذا اراد ان يعرف حقيقـة امر ما فإنه لن يجد عنه في العمق التاريخي إلا مـا هـو موجـود فـي بـيانات العالم الرقـمي ، ولعل هذا الفراغ بـــين الحـــاضر والماضي ، بين الأجداد والأحفاد قد بدا واضحاً في القـرن الحادي والعشـرين بمسـاعدة تقـنيات العالم الإفتراضي وتفشي وباء كورونا حـيث التبـاعد الإجتماعي والضغوط الإقتصادية والفقـر الذي يهدد بـعض الدول والجوع الذي

يتربص بدول اخرى ، وكأن الواقع منذ امد غير بعيد يمهّد لهذا التغيير المخيف والمقلق في المناخ العام للعالم ..

التزييف العميق تقنية تسمح بتقليد الشخص بدقة متناهية وتظهره بحركات واوضاع مزيفة . تعتمد هذه التقنية على صور شخصية وتسجيلات صوتية ومقاطع فديو حقيقية للشخص ، يظهر فيها بحالات مختلفة مثل الانفعال والارتياح والتركيز والتوتر والهدوء وغيرها من الإنفعالات وإخضاعها لتقنية الذكاء الإصطناعي الذي ينتج بدوره تسجيلاً جديداً مزيفاً أو صورةً مزيفةً عن الشخص . وبالقدر الذي تبدو فيه هذه التقنية مسلية لدى بعض الناس يراها البعض الآخر من الخطورة بدرجة قد تصل الى الإبتزاز وتشويه السمعة وتحريف الحقيقة . استعملت هذه التقنية في انشاء مقاطع فديو اباحية مزيفة لأحد المشاهير ، واستخدمت في احيان اخرى في صناعة اخبار مفبركة وتصريحات كاذبة على لسان

شـخصية معروفة . تطورت هذه التقـنية اكاديمياً وخارج نطاق القـانون . تسـتخدم على المسـتوى الأكاديمي في عدة مجالات مثل رؤية الحاسـوب القـائمة على الذكاء الإصطناعي . في عـام ٢٠١٧م ظهـر الرئيـس الأمريكـي (اوبـاما) في مقـطع فديو وهو يتحـدث عن مخاطر هذه التقنية، واتضح ان الفديو كان مزيفاً . وفي ٢٠١٧م شارك مستخدم اطلق على نفسه اسـم deep fakes فديوهات اباحية مزيفة وضعت فيها وجوه ممثلين حقيقيين مكان وجوه اصحـاب الفديو الإباحـي فحققـت هذه الفديوهات المزيفة عددا كبـيراً من المشـاهدات وبـعد الانتقـادات الكثيرة حـظرت عدّة مواقـع الترويج لهذه التقـنية . في كانون الثاني ٢٠١٨م اطلق بـرنامج fake App للحواسيب يسمح بإنشاء ومشاركة مقاطع الفديو بسهولة مع تغيير الوجوه حـيث يسـتخدم شبـكة عصبـية اصطناعية وقـوة معالج رسـومات وثلاثة الى اربـعة كيكا بـايت من مساحـة التخزين لإنشـاء الفديو المزيف

وللحصول على معلومات مفصلة يحتاج البرنامج الى ادخال الكثير من المواد المرئية لنفس الشخص لمعرفة جوانب الصورة التي يجب تبادلها باستخدام خوارزمية التزييف العميق القائمة على تسلسل الفديو والصور.

يقول خبير الكمبيوتر Aargauer Zeitung (ان التلاعب بالصور ومقاطع الفديو باستخدام الذكاء الاصطناعي يمكن ان يصبح ظاهرة جماعية خطيرة ، ومع ذلك فإن هذا التخوف هو نفسه الذي يشعر به الكل حينما ظهرت للوجود برامج تحرير الفديو وبرامج تحرير الصور بشكل عام تبقى قدرة الناس على التمييز بين الفديو الحقيقي والمزيف هي العامل الأهم في التأثير إيجابياً أم سلبياً على هذه التقنية).

يقول الباحث في الذكاء الإصطناعي اليكس شامباندارد حسب موقع ويكيبيديا :

(انه يجب على كل شخص ان يعرف ان المشكلة ليست مشكلة تقنية بقدر ما هي مشكلة ثقة في المعلومات التي

تقـدمها وسـائل الإعلام والصحـافة) ويقـول (المشـكلة الأساسية هي ان الإنسانية يمكن ان تقع في عصر لم يعد فيه من الممكن تحديد ما اذا كان محـتوى صورة او فديو ما حقيقياً أو لا).

اذا كانت هذه التقـنية مصدر قـلق اليوم ، فهل ستصبـح مصدر توثيق غداً ؟ خصوصاً عندما يعتمد الناس الإعـلام والعالم الإفتراضي مصادر للبحـث عن الحقيقـة ، وجدت احدى الإحصائيات إن الشبـاب ما بـين ٢٠ - ٣٥ سـنة يعتمدون كلياً على شبـكة الإنترنت في الحـصول على المعلومة والخبر ، فعندما تصبح الكتب القـديمة تراثاً نمرّ بـه في المتاحـف وخزائن المكتبـات ولا يسـمح لنا بتصفحـها من بـاب الحـفاظ على سـلامة مكونات ورق الكتاب ، وتزداد خطورة الأمر عندما لا يعتنى بإعادة طبع النسـخ الأصلية لتلك الكتب القـديمة خصوصا المصادر منها ، أو عندما يعاد طبعها بعد تنقيحها وتحقيقها وهو ما قد يعرضها في بعض الأحيان الى التصرف في محـتواها ،

يضاف الى ذلك ابـتعاد الناس عن الكتاب الورقـي عموماً . كثير من الناس اليوم يفضلون رؤية وسـماع فديو قـصير على قـراءة نص مكتوب ، ويفضلون قـراءة تعليق مكتوب ضمن صورة على قـــراءة التعليق نفســـه من غير صورة ، ويفضلون قـراءة نص قـصير مكتوب على قـــراءة موضوع طويل وان كان مهماً ، كما انهم يذهبـــون الى قـــــراءة التعليقات على الموضوع لأخذ خلاصة عنه بـدل الخوض في قراءته ..

يرى علماء النفس ان حنين الشخص الى الماضي يمنحه احساساً بالإستمرارية ويعطيه شـعوراً مريحـاً بالإرتبـاط بـعدد كبـير من الناس عبـر فترات زمنية مختلفة ، وافاد عدد من القرَّاء ان احساس احدهم وهو بـين دفتي كتاب قديم يختلف عن احساسه وهو بـين دفتي كتاب جديد ، فالأوراق الصفراء ، وشـكل الطبـاعة القـديمة ، ومضامين الكتاب ، والفترة الزمنية التي كتب بها ، كل هذه مؤثرات يشعر معها القارىء انه يستحضر زمنا هو في جانب كبـير

هل تسهم التظاهرات في تغيير الواقع ..؟

شهد العالم في ٢٠٠٣م تظاهرات كبيرة إثر قـرار امريكا إعلان الحرب على العراق بـذريعة امتلاك النظام اسلحـة دمار شامل .. بلغ عدد المتظاهرين في العاصمة الايطالية روما وحـدها ثلاثة ملايين متظاهر، وفي بـــاريس ولندن وفيينا وعواصم ومدن اخرى في العالم بلغت حوالي ٦٠٠ مدينة ، وفي تعليقـه على هذه التظاهرات الضخمة ، قـال الرئيس الامريكي حينها جورج بـوش ان هذه التظاهرات لن تستطيع ايقاف الحرب اذا اندلعت .. واندلعت الحرب ، وسقـط نظام الحـزب الواحـد في العراق ، لكن الحـال لم يكن كما وصفه الرئيس الأمريكي قبيل الحرب حين قال ان العراق بعد صدام حسين سـيكون عراقـا نموذجياً في الرخاء والديمقـراطية . اكتشـف العراقـيون ذلك مبـكراً ، حـــين خرجوا في الشـــهر الرابـــع من عام ٢٠٠٣م ، متظاهرين في مدينة الناصرية احـــــتجاجاً على الرعاية الأمريكية لإجتماع تعقـده المعارضة العراقـــية من اجل

بينهم . بـعد جيل او جيلين سيقـلّ عدد اصدقـاء الكتاب الورقي وستغادر كتبهم رفوف مكتباتهم بعد رحيلهم كما يحـــصل مع كثير من اصحـــاب المكتبـــات هذه الأيام. وعندما يصبـــح العالم الإفتراضي بســـرعة بحـــثه ووفرة البيانات التي يقـدمها مصدراً مباشـراً معتمداً ، ويصبـح المال مديراً ، ويصبح العلم سـلعة فربـما نشـهد معطيات جديدة سـتفرض نفســـها كثوابـــت وادوات للتفكير في المستقبل من شأنها ان تنتج تصورات معينة عن التاريخ والتراث والدين بـعيدة عن الحقيقـة او غير مطابقـــة لها تماماً منها على سبيل المثال هناك وثيقة تناقلتها مواقع الكترونية ، هي عبارة عن ورقة صفراء تبدو وكأنها وثيقـة تاريخية قديمة تتحدث عن رسالة بعث بـها جورج الثاني ملك انجلترا الى الخليفة الأموي في الأندلس هشـــــــام الثالث كتبـت بـــتاريخ ١٠٢٨م - ٤١٩هـ يقـــول فيها: من جورج الثاني ملك انجلترا والغال والســـــويد والنروج الى الخليفة ملك المســـلمين في مملكة الاندلس صاحـــب

العظمة هشام الثالث الجليل المقام بعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء اثركم لنشر انوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من اربعة اركان .. الى اخر ما تذكره الوثيقة ثم ينهي الملك رسالته بـ(من خادمكم المطيع جورج الثاني ملك انجلترا). وفي الجزء التالي لنفس الورقة جواب الخليفة الأموي .. ان مثل هكذا وثيقة أو غيرها ستكون موضع اندهاش قبل ان تكون موضع انتقاد من قبل الأجيال القادمة ممن لا يمتلكون ادوات النقد والتحليل والبحث والتنقيب ، من قبيل هل ان جورج الثاني حكم في تلك الفترة المكتوبة بها الرسالة وأي البلاد كانت تحت حكمه ، هل ان المسلمين كانوا في الاندلس في تلك السنة ولماذا جاء رد الخليفة على الرسالة نفسها ولماذا جاءت الرسالة والجواب بنفس نوع خط الكتابة

وهل كان هذا النوع من خط الكتابـــــة متداولاً في تلك الفترة الزمنية في مخاطبـات ومكاتبـات الحـــكّام ، وهل يتطابـــق وصف الملك لحقيقـــة طبـــيعة مجتمع الدولة الإسـلامية في تلك الفترة ، وهل كانت انجلترا والبـــلدان التي ذكرتها الوثيقة غارقـة في الجهل كما جاء فيها على لسـان ملك انجلترا . اذا تطرق بـعض المعنيين اليوم الى كشـف زيف هذه الوثيقـة فقـد لا يكون بوسـع الأجيال القـادمة القـيام بـذلك عندما يصبـح العالم الإفتراضي هو مصدر المعلومة بلا منازع ، وبـعد ان يظهر مؤرخون جدد لا يحفظون تواريخ الأحداث في اذهانهم لاعتمادهم على ذاكرة الشبكة العالمية ومحرك البحث الرقمي السريع في ذلك . ذكر موقع ويكيبيديا انه (منذ سـنة ٢٠١٥م تناولت العديد من صفحـــات التواصل الاجتماعي الرســـالتين وتناقلها العديد من الباحثين والإعلاميين وبـعض الدعاة بـل وبـعض الكتب دون تحقـق وزعم بـعض من تناقـلوا الرسالتين ان مصدرها هو كتاب "الاستذكار" لابـن عبـد

البـر وهو ما لم يثبـــت على الإطلاق كما زعم آخرون ان مصدرها كتاب "العرب عنصر الســـــيادة في القـــــرون الوســـــطى" لمؤلفه المؤرخ الانكليزي الســـــير جون دوانبورت إلا انه لم يكن هناك مؤلف بهذا الإسـم أو كتاب بهذا العنوان) ، ثم يستعرض الموقـع مواطن التزييف في الرسالتين من قبيل تباعد الازمنة ونوع الخط المستخدم وسياق كتابة الرسالة والجواب في ذلك الوقـت وكلها امور تحـتاج الى الخبـرة والدراية وسـعة الإطلاع وهنا مكمن الخطر على الأجيال القـــادمة عندما يصبـــح التعليم الكترونياً بشكل كامل ، وتصبـح الشاشـة مصدر المعلومة الأول والأخير ، وتتضاءل ذاكرة احـدهم الى حـــدّ توهمه وجهله بأن "الإخلاص" هو الإسم الثاني لسورة التوحـيد في اسـتطلاع مصوَّر شـمل عددا من الفتيان في احـدى بلدان العالم العربي الإسـلامي اظهر اغلبـهم جهله عندما طلب منهم قراءة سورة الإخلاص ..

البيئة الإصطناعية..

الحـق الإنسـان ضرراً بالطبـيعة والبـيئة لصالح تفكيره المحدود بنوازعه البشـرية ومشـاريعه التنموية من اجل مكاسب مادية وسيادية نتج عنها تردّي الظروف الصحيّة وتنامي معدلات الإصابـة بالسـرطان والأمراض المزمنة ، وتسـممت تربـة الأرض وتلوث الجو بـالمخلفات والمواد الكيمياوية والأسمدة التي انتجت محاصيل تفتقر للفائدة الصحية ، تحمل اسم الغذاء وتفتقر الى قيمته ، ولمعالجة هذه المشاكل يذهب بعضهم الى تحميل المستهلك اجور صيانة الطبيعة وترميم الجو..

(ان تشييد مصنع ذري يستغرق حـوالي ١٠ سـنوات اما فترة عمله فلن تزيد على ٤٠ سنة . غير ان النفاية الذرية التي سـوف ينتجها سـتظل تشـع حـوالي عدة الوف من السـنين ولسـوف يمثل مشـكلة مزعجة بالنسبـة لآلاف الأجيال المقبـلة ولسـوف تتأثر ظروف الحـياة مثلاً باحـتمالات الموت الذري للغابـات أو التدمير البـطيء لطبقة الاوزون ومعنى ذلك ان التكنلوجيا تتقدم بسـرعة

الى حد ان البلدان المتقدمة ذاتها اصبحت غير واثقة من المستقبل ، فهي تخشى ان تنقلب التكنلوجيا على البشرية وتدمرها) (١) ..

يتجه العالم نحو توزيع المشاريع العالمية جغرافياً على دول العالم لتحقيق قدر عالي من اللامركزية في الانتاج مع قدر عالي من المركزية في الإدارة والتخطيط والتمويل والتسويق والتطوير (انظر حولك ان اطول مبنى في العالم يقع اليوم في تايبي ، ولن يمضي وقت طويل حتى يتفوق عليه مبنى آخر يجري تشييده في دبي. واغنى رجل في العالم مكسيكي. واكبر الشركات في العالم من حيث المبيعات صينية. والطائرة الأضخم في العالم تصنع اليوم في روسيا واوكرانيا والمصفاة الاكبر في العالم يجري انشاؤها في الهند والمصانع التي تحتل المراتب الاولى في لائحة المصانع الكبرى توجد

١- الرأسمالية تجدد نفسها - د. فؤاد مرسي ص ٧٣ سلسلة عالم المعرفة - الكويت ١٩٩٠م

كلها في الصين: كما ان الرموز الاميركية الشـــــــهيرة اصبحت ملكاً للأجانب الآن... وحـتى التسـوق - النشـاط الاول في امريكا - اصبـــح عالمياً اليوم فمن بـــين مراكز التسوق العشرة الاولى في العالم ثمة مركز واحد فقط في الولايات المتحدة ..) (١)

بـــوجود الأتمتة اســـتغنت الصناعات الألكترونية عن ملايين العمال ، وبـوجود عدد قـليل جداً من العمال صار بمقدور شركات السيارات انتاج سـيارة كل يوم ، بـعد ان كانت المصانع تحـتاج الاف العمال بـما يترتب على ذلك من مواعيد حضور وانصراف وعدد سـاعات عمل واجازات وغيرهـا مـن الامـور التـي تخطتهـا الثـورة العلميـة التكنلوجية في الصناعة ، وبـــعد ان كان عدد العمال من مؤشـــرات زيادة الانتاج ، صارت الصناعة تتطور والانتاج يكبـــر دون وجود تلك الاعداد الكبـــيرة من العمال في

١- عالم ما بعد امريكا - فريد زكريا - ترجمة بسام شيحا - الدار العربية للعلوم - لبنان - بيروت ط١ ٢٠٠٩م

السابــق .. امام هذا التطور الكبــير في الصناعة والانتاج يواجه العالم مشاكل البطالة في صفوف البـلدان حسـب نسبـــها هنا وهناك ، ويترتب على البـــطالة مشـــاكل اجتماعية ونفسـية وشـخصية ، وفي الوقـت الذي صارت فيه قــطاعات العمل تبحــث عن المهارات المناسبـــة للأتمتة ، يواجه اعداد كبيرة من العمال مشـاكل تحـول دون امتلاكهم مثل هذه المهارات ، وبــذا وجب الالتفات الى هذه المشكلة الاجتماعية ومعالجتها بشـكل يتخطى الطرح الكلاسـيكي لرواتب الرعاية الاجتماعية أو معونات العاطلين ، لأن المشكلة لا تقف عند حدود العمل كمورد معاشــي ، بـل تتعداه الى المســاس ببــناء الشــخصية وتكوينها ونموها..

يأخذ رأس المال دوراً كبـيراً في تدويل الصناعة والإنتاج والمال والإقـتصاد بطريقـة تدفع بـالدول المتقـدمة الى احـتكار عالمية السـوق والإدارة والإنتاج بـكل مجالاتها ، وهذا الإحتكار يعني التبيعة أو الإستغراق في التبعية من

جانب عالمنا العربـــي والدول النامية . وســـيكون لهذه التبـعية دورها في رسـم ملامح مستقبـل هذه البـــلدان ليس فقـط في مجال السياسـة والإقـتصاد بـل سـيطال الثقافة أيضاً ..

يشـــهد العالم معادلة الإحـــتلال الإقـــتصادي مقابـــل الإستقـلال السياســي ، ومعادلة الإنفتاح العالمي مقابـل جغرافيا الحدود والخرائط ، ومعادلة احتلال العقول مقابل حرية الرأي والتعبير وحق الحصول على المعرفة وتحويل الارض الى معتقـل كبـــير ترصد فيه تحـــركات الجميع وتدون افعالهم (استخدام السيطرة الاعلامية والسـيطرة على مجالات الترفيه لإحداث تغييرات اساسية في القيم والثقـــافات وفرض ســـيطرة الثقـــافة الرأســـمالية الاستهلاكية) (١) ..

١- كتاب الرأسمالية تجدد نفسها - د. فؤاد مرسي - سلسلة عالم المعرفة الكويت - ص١٢٤- ١٩٩٠م

تشكيل حكومة انتقالية ..

وبعد هذه التظاهرة بأيام خرج آلاف العراقيين في بـغداد احـتجاجاً على التواجد الأمريكي في العراق ، وتشـكلت اول حكومة انتقالية وصفت بأنها حـكومة تكنوقـراط ، ثم تشـكل البـرلمان في ٢٠٠٥م وانبثقـت عنه اول حـكومة ومرَّت اكثر من عشر سنين والمشهد السياسي في العراق تحـت الرعاية الأمريكية ، ولا يزال الناس في البـلاد يتظاهرون مطالبـين بتحسـين ظروف معيشـتهم ، يفتشون في بلادهم عن وطن ، وكأن العملية الإنتخابـية اصيبت بالعقم ، فما عادت تنجب حكومات تنهض بواقـع الناس الى الأفضل ، ليس في العراق وحسب ، ففي لبنان الحال نفسه ، فقد استقال رئيس الحكومة سعد الحريري كما اقيل عادل عبـد المهدي رئيس وزراء العراق واختير رئيس جديد للجزائر على اثـر تظاهـرات عارمـة رفضـت ترشيح بوتفليقة لولاية جديدة ، ولا يبدو ان واقـع الحـال في العالم العربـي يمكنه ان يلحـظ او يرقـب تغييرا على

المدى القريب ، كما لا يبدو ان بوسع العالم العربـي إعادة نهضته من جديد . ويبـدو ان المشـــهد ذاته في بـــلدان اخرى حول العالم ، فعلى الرغم من مأساوية حـادثة موت (جورج فلويد) الامريكي من اصول افريقـــــية وخروج تظاهرات كبـــيرة في حـــوالي اربـــعين ولاية تنديداً بـالعنصرية ، قـال الرئيس الأمريكي ترامب تعقيبـــاً على الأحـداث التي رافقـــت التظاهرات في (مينيابـــولس) المدينة التي شـــهدت موت جورج فلويد : لو كان هناك مزيداً من الصرامة لما حـصل ذلك .. وشـــكّك في صحـــة الفديو الذي ظهر فيه شـــرطي يدفع (بـــــافالو) الرجل السبعيني ويلقيه ارضاً ثم يتركه ينزف دون ان يسـعفه .. في سويســـرا التي وصفها الأديب الرحـــــالة ناجي جواد الساعاتي في كتابه بـ(خيمة العالم) خرجت تظاهرة من حـوالي عشـرة الاف شـخص تنديداً بـالعنصرية وقـــالت احـدى المتظاهرات وهي من اصول افريقـية انها تعيش في سويسـرا منذ اربـعين سـنة ولا تزال تشـعر بـــوجود

العنصرية..

في فرنسا اعادت حـادثة موت (جورج فلويد) في نفوس الفرنسيين ذكرى موت (اداما تراوري) الشاب الفرنسـي من اصول افريقية الذي مات بالطريقـة نفسـها التي مات بها فلويد وهي الخنق حسب ما افاد به التقـرير الرسـمي لوفاة اداما بعد اعتقاله من قبل الشرطة الفرنسية في تموز ٢٠١٦م..

توجهت التظاهرات الأمريكية والأوربـية الى محـاكمة تاريخ العنصرية ، فحـكمت بـازالة الاف التماثيل والنصب العائدة لأشخاص اقترنت اسماؤهم بالعنصرية والعبودية .. فما هو المدى الذي يمكن ان تبـلغه تظاهرات الجماهير.؟

تتمتع شعوب العالم بامتلاكها لغة مفهومة لا تحـتاج الى ترجمة ، كانت ولا تزال تشكل رابـطاً تلقـائياً بـين الناس على اختلاف الوانهم واديانهم والسنتهم ، انها الإنسـانية ، التي كانت وراء خروج فتيات سـويديات في سـتوكهولم

في ٢٠١٣م في تظاهرة تضامناً مع امرأة مسلمة تعرضت للإعتداء من قبل شخص في احد ضواحي المدينة بسبب حجابها ، وكانت صورة طفل سوري قضى غرقاً وجرفته المياه الى الساحل التركي عند منتج بودروم في سبتمبر ٢٠١٥م وراء التغريدات والضجة الكبرى على مواقع التواصل الإجتماعي معتبرة اياها دليلاً على موت الضمير العالمي ، منددّة بما يتعرض له الشعب السوري جرَّاء الحرب التي يخوضها الكبار على الأراضي السورية والتي كانت وراء تهجير ملايين العوائل وموت كثيرين غرقا وهم يبحرون صوب الغرب بحثاً عن الحياة التي صادرتها صفقات التجار الكبار والتي لم تنته بعد مرور سنوات على هذه الحادثة المفجعة ، اذ لا تزال الحرب قائمة حتى مع اجتياح وباء كورونا العالم ، والذي لم تمنع خطورته مواطنين امريكيين من ان يطالبوا الحكومة الامريكية في حملات اعلامية رفع حصارها عن ايران فترة الوباء ، وفي بريطانيا جمع ناشطون اكثر من عشرة الاف توقيع

على مذكرة الكترونية يطالبون فيها الحكومة البـريطانية الرد على اسـتمرار العقوبـات الإقـتصادية الأمريكية على ايران ، واجابـت الحـكومة بـأن الحـصار لا يتعارض مع ارسـال المعونات الطبـية اللازمة وهو ما عدَّه مواطنون جوابا غير مقبول ..

في الغرب مثقفون ارتقت الإنسانية بثقـافتهم الى تقبـل الآخر في فضاء انساني لا يفرق بين عربي واعجمي ، بـين ابيض واسود ، بين غني وفقير ، فعمل الإنسـان هو هويته وعطاؤه هو رأس ماله ، وفي الشـرق مثقـفون على المضمون نفسه الذي يتمتع بـه المثقـف الغربـي ، وعلى هؤلاء يمكن ان يقـوم مشـروع نهضة عالمية تمنع استغلال الانسانية لتمرير مشـاريع سياسـية واقـتصادية تخطط لها اطراف عالم ما بعد كورونا ..

(عليكم ان تدفعوا) هكذا كان الرئيس الامريكـي ترامـب مباشراً وهو يخاطب حكّام العربـية السـعودية ، انه النظام العالمي الذي يسـتخدم تقـنياته للإسـتثمار في إعادة

تأهيل شـخصية الفرد على وفق ثقـافة الأقــوى ، وقــد نجحت السياسة العالمية الى حدّ كبير في رسـم خطوط سياسة عربـية موالية لها في خارطة الشـرق ، وهذا واضح من واقــع ادارات الأنظمة العربــية لشــؤون مجتمعاتها المسكونة بالفقـر والجوع والبـطالة وبـراميل النفط ، لكن الجماهير العربية كانت ولا تزال تشـكل معوّقـا امام نجاح المشـروع الإمبـريالي ، وهذا ما زاد من معاناة الناس امام ضعف ادراك الأنظمة الحـاكمة القـائم وعيها اساسـاً على اتصالها المستمر بالسياسـات العالمية المتمثلة بالثقـافة الغربية القديمة حيث العنصرية والأنانية والقوى الكبـرى والإقــتصاد المهيمن على ادارة العالم الذي لا يســتثني في صفقـاته الكرامة والهوية والمقـدّس ، فعلى الرغم من تظاهرات تشـرين في ٢٠١٩م في بــغداد ومحــافظات الجنوب التي اسـفرت عن اكثر من ٥٠٠ شــهيد وآلاف الجرحــى واكثر من ٢٠٠ معاق والتي نتج عنها اقــالة الحكومة ، اقدمت الحـكومة التالية لها على اخضاع رواتب

المتقـاعدين الى استقـطاعات تراوحـــت من ١٠ - ١٥٪ ، وكان رد رئيس الحكومة المؤقـتة على ذلك لا يختلف في اجوائه عن رد الرئيس الامريكي على احداث منيابـولس ، كلاهما كان ردًّا رقمياً أمنياً لا وجود للقيم الانسانية فيه ، فهل تسـتطيع شـــعوب العالم تغيير هذا النظام العالمي المادي ..؟

وهل تستطيع ان تواجه مشروع رقـمنة الوجود البشـري الذي يجري الحـــديث عن اســـتكماله خطواته النهائية خلال العقد المقبل من السنين ..؟

في ظل الأجواء السياســـية والإقـــتصادية والثقـــافية والإجتماعية المتزامنة مع تفشي وباء كورونا الذي كشف عن خفايا ربـما ما كان لها ان تكشـف في ظروف اخرى ، في خضم هذا الوضع الجديد يحتاج العالم في كل اجوائه ومناخاته الإدارية والثقـــافية والإجتماعية والسياســـية والإقـتصادية الى ان يعيد تنظيم نفسـه بشـكل يتخطى فيه الإخفاقات التي مرَّت بها البشرية ، فالرأسـمالية تعيد

تنظيم نفســـــــها في نظام مالي صناعي عالمي يعتمد المشاريع العابـرة للقـوميات بـاتجاه سـيطرة كثافة رأس المال على صناعة القـرار العالمي ، لذا ينبـــغي ان يعتمد النظام الجديد للعالم لغة لا تنحـــرف عن مســـــار وصايا الأنبـــياء ومضامين رســـالاتهم الســـماوية ، ولا تتخطى التسلسـل الزمني لظهور الأنبـياء ، ولا تختار من مجموع الكتب السماوية نصوصا معينة وتجمعها في كتاب واحـد مطبوع تضفي عليه صفة القداسة ..

لكل انسان رسالة ..

تضاعفت التجارة الدولية عما كانت عليه قبـــل الحـــرب العالمية الثانية ونشأت علاقـات دولية واسـعة تقـوم على توزيع الإنتاج وتقسيم العمل دولياً بحـيث لم يعد بوسـع اي بلد ان ينهض بمفرده وان كان يتوافر على مستلزمات النهوض من موارد طبيعية وموارد بشرية وقـدرة انتاجية ومهارات ادارية وافكار منتجة خلاقـــة . وبسبـــب التوجه

العالمي للمال اخذت السلعة طابعاً عالمياً في كل بلد من البلدان تقريباً ، فالبضاعة الصينية مثلاً موجودة في كل الأسواق لأن لغة المال واحدة في كل مكان وان تباينت اللغات واختلفت الطباع وتنوعت المعتقدات والثقافات ..

بعد الحرب العالمية الثانية اعتمدت الدول الرأسمالية فكرة النهوض بالصناعة التي تعطلت وتضررت بسبب الحرب ومضت في تحقيق الفكرة ونجحت في تحويل مسار التكنلوجيا من الحرب الى السلام فتطورت الصناعة وبلغت درجات متقدمة في التقنية ومنها تكنلوجيا المعلومات ، وبعد جائحة كورونا ستحتاج شعوب العالم اعتماد فكرة النهوض بالإنسان وإعادة اعمار النفوس التي هددتها اسواق السلع ومشاريع السعي وراء المال وتجاهل كثير من القيم في سبيل ذلك ، واذا كانت الرأسمالية معنية بتخفيض تكاليف الإنتاج لضمان ارباح اكبر واستهلاك اعلى للسلع ، فإن الشعوب معنية مقابل ذلك بالحفاظ على الهوية الإنسانية الأخلاقية القيمية من ان

تطالها مشاريع التسليع العالمية ..

يقول استاذ علم النفس الدكتور سامي الدروبي (ليس يكفي الإنسان ان يحمي نفسه من الآفات كالبخل أو الكسل أو حب المقامرة أو تعاطي المخدرات فما هذا كله إلا الشروط السلبية لتفتحه الروحي. وانما ينبغي له ان يعي ما خُلق له ، أي ان يعي المصير الخاص الذي يتفق وطبيعته الأصلية ، ويتيح له بلوغ القيمة التي يُسِّرَ لها .. وهذه هي الرسالة. والإنسان لا يعرف رسالته إلا بالتجربة الشخصية ولا يدرك المصير الذي خلق له إلا من خلال ما يشعر به من فرح وهو يحققه. ولا شيء يمكن ان يحلّ محلّ هذه التجربة الشخصية ولكن ليس معنى هذا ان تكون التجربة عفوية بسيطة لا يداخلها التفكير ولا تستهدي العقل. ولما كانت المطابقة بين السلوك والظرف اهم الوجوه الأساسية التي يتجلى بها الذكاء كانت معرفة الطبع أولى الوسائل العقلية التي يستطيع بها الإنسان اكتشاف رسالته) (١) .

١- كتاب علم الطباع - المدرسة الفرنسية - د. سامي الدروبي ص٢٧١ دار المعارف - مصر ١٩٦١م

الألم والأمل ..

في النظام العالمي الجديد تملي علينا الظروف دراسة موضوعة الألم بعيداً عن لغة الأرقام والأرباح المادية وبحثها في حدود الذات والكيان الإنساني في ابعاده الجسمية والأخلاقية والإجتماعية . وان لا ننحرف بدراسة الألم بعيداً عن الأطوار الطبيعية السليمة ، إذ لا نعُد تعاطف البعض مع الشذوذ الأخلاقي والجنسي على انها حقوق وحريات شخصية وميول نفسية يتوجب احترامها وصيانتها وتهيئة الجو المناسب لنموها وربما الترويج لها ، ولا التعاطف مع الإجرام بدافع انساني ، لا ينبغي ان نتعاطف مع الظلم كي لا ندفع بالمظلومين الى ارتكاب الظلم حين تتغير موازين القوى . ان عدم معاقبة المجرم او التساهل في محاسبته او إرجاء محاكمته استجابة لصفقات سياسية او ضغوط تمارسها قوى متسلطة ، من شأنه ان يضر بتوازن المعادلة .

ينبغي تهيئة مناخ نفسي في المجتمع يمكّنه من تقبُّل مراحل وعي اكثر عمقا فيما يخص العلاقة البشرية مع

الذات ومع الله وانعكاســـــاتها على ارض الواقـــــع مع الآخرين..

لعل العالم يتجه الى تقليص حجم التاريخ ليصبـح معناه محدوداً في فترة قد لا تتعدى المئة سنة او اكثر فيصبح الواقع هو التاريخ في حياة كل جيل . وقد تسهم التقـنية الصناعية والثورة العلمية التكنلوجية في ارشـــفة التاريخ في مجلدات مستقلة لا ترتبط بأجزاء فيغدو الإسلام قبل الف عام على سبـيل المثال تاريخاً يُقـــرأ للإطلاع عليه اولكتابـة البحـــوث الدراســـية والاكاديمية التي لا تغادر رفوف مكتبـــة الكلية أو الجامعة أو مركز الأبحـــــاث لأن الواقع يحول دون استحضار مواده بسبب اختلاف القوالب الثقافية لطبيعة المجتمع ..

الأمن الإفتراضي وظهور الفيروسات ..

اذا اخذنا بـنظر الإعتبـار ان امن الدول اصبـح بـصورة أو بأخرى مرتبطاً بـالأمن الإفتراضي وهو ما يجعله بحـاجة الى اتقـان الأمن الالكتروني الإفتراضي ، ومع الإتقـان أو التدرب أو الإحـاطة تظهر النوايا المبـطنة سـواء كانت ايجابية ام سلبـية ، فقـد كشـفت تقـارير عن محـاولات تجسـس قـامت بـها دول على اخرى وذكرت احـدى الصحـف الامريكية ان اي هجوم اسـرائيلي على ايران سـيكون مشـفوعاً بـهجمات الكترونية مثل الفيروسـات والتشـويش على الرادرات .. وبسبـب احـد الفيروسـات الألكترونية تعرض حوالي ٣٠ الف جهاز حاسـوب متصل بشبـكة ارامكو السـعودية بعرقـلة انتاج قرابـة ٩ ملايين بـرميل يومياً الى السـوق العالمية ، ويترتب على هذه الفيروسات الألكترونية تبادل الإتهامات بـين الدول التي تشـهد توتراً في علاقـاتها ، فعندما تعرضت الأجهزة الإيرانية الى فيروسـات اوقـفت العمل في مرفأ

(خرج) ومئات من اجهزة الطرد المركـزي فـي معامـل تخصيـب اليورانيـوم توجهـت الإتهامـات الـــى امريكـــا واسرائيل ، كما ذكرت شركة روسية ان فيروس (Gauss) الذي ظهر في لبـنان وفلسـطين واسـرائيل ، قـــادر على سرقة المعلومات الشخصية من الأجهزة التي يخترقـها ... كذلك تقوم الصين حسب تصريحات امريكية بالتجسـس على شبكات الكترونية حكومية ومراكز ابحاث وشـركات وغيرها في الولايات المتحدة الأمريكية (١) ، هذا يعني ان خطراً محدقـاً بـــنا يتهدد عالمنا في حـــال نجح النظام العالمي في ادارة شؤون الناس والسـيطرة المطلقـة على الجنس البشـــــــري ، ولأن فرض الأمن الملزم لجميع المشـتركين والمتصلين بالشبـكات العالمية امر لا يزال فيه كثير من الثغرات ويحـتاج الى صياغات قـانونية تلزم الجميع وتكون موضع رضاهم ايضاً كي لا يحصل اختراق خطير يهدد امن وســـــلامة مجتمع ما في اي مكان في

١- السبرانية هاجس العصر - د. منى الأشقر جبور - المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية - جامعة الدول العربية.

العالم . ان الإهتمام بـالأمن الألكتروني لا يجب ان يقـف عند حدود نشاطات هيئات دولية وسياسية ، انه بحـاجة الى اشتراك هيئات ومنظمات اجتماعية ومدنية لأن الأمر يتعلق بحياة المواطن وسـلامته كما يتعلق بـأمن البـلاد وسيادة الدولة .. ان الدخول الى حـياة الناس الخاصة عن طريق توفير العلاج واللقـــاح والرعاية الصحـــية واعادة بـــرمجة الأجهزة المناعية يعدُّ مدخلاً خطيراً ومثيراً في الوقت نفسه ، فالإنسـان بـفطرته محـب لعافيته ، محـب لسلامته ، محب لأمواله واولاده ، والنظام العالمي الجديد يدخل الى الناس عبـر هذه البوابـات ، يستقطبـــهم اليه ليحكم سيطرته على الجنس البشري ، فقد اوضح بـعض المختصين ان جهات متنفذة تسـتثمر اموالها في سـوق العالم السياسي والإقتصادي والثقـافي والأمني والصحـي ستقترح نظاماً الكترونياً يكفل للمواطن رعاية صحية عبر نظام يراقب بياناته الطبـية ويعيد بـرمجة جهازه المناعي بشكل يضمن له الوقاية من كورونا وغيره من الفيروسات المحتملة ، ومن اجل شدّ الناس الى هذه المقترحـات أو

العروض يجري هنا وهناك حـــــــديث عن اطوار منوعة لفيروس كورونا واجيال منه ولعل الرقـم (١٩) المقـــترن بالوباء (كوفيد ١٩) سيفتح المجال للخيال والاســتثمار في ارقـــام جديدة كما حـــصل مع المسلســـل المصري (كوفيد ٢٥) ، واحتمالات مكوث الوباء لوقـت طويل وهو ما يتقـاطع مع حـــاجة الناس الى الحـــركة والعمل مما يضطرهم لمواصلة حياتهم بـوجود الفيروس ، واســتخدم بـعضهم اصطلاح (مناعة القـــطيع) في دعوة الناس الى التعايش مع الفيروس ومن يدري فقد تأتي بـعد مرحـلة العرض هذه ، مرحـلة الفرض ، فقـد يفرض على الطلبـــة مثلاً اخذ اللقـاح كشـرط من شـروط العودة او الإلتحـاق بالمدرسة ، وقد يفرض على المسافر اخذ اللقاح بـالإضافة الى تأشيرة السـفر (الفيزا) ليسـمح له بـصعود الطائرة ، وقد يفرض على افراد القوات المسلحـة اخذ اللقـاح ومن يمتنع تسجل عليه مخالفة عسكرية ، وقد يصبـح اللقـاح من متطلبات التقديم على الوظيفة ، أو المنحة الدراسية،

أو المعونة المالية ، أو القرض المصرفي ، أو الترشيح الى الإنتخابات ، أو من شروط تجديد هوية الناخب ، أو شرطاً يضاف الى تحليل الدم لإستحصال الموافقة الطبية على الزواج ، أو شرطاً ملزماً للأم الحامل كي تضمن اتمام ولادتها في المستشفى ، أو سيكون لزاماً على كل شخص تحميل تطبيق خاص بفحص الكورونا على موبايله الخاص ، وغيرها من التوقعات .

التعليم الألكتروني
بين إقصاء التربية وإخصاء المعرفة

التعليم هو المنهج السليم لتهذيب العادات وصناعة الوعي ونقد الذات وقد نجحت المدرسة في تحقيق ذلك ، فلماذا يراد انهاء تلك المرحلة واستبدالها بالتعليم الالكتروني .؟

هل شاخ نظام التعليم في المدرسة والجامعة حتى بات نظاماً فاشلاً غير مرغوب فيه أم ان مناخاً مصطنعاً أريد له

ان يســـــود هذا النظام ليغدو نظاماً غير مجدي في نظر المجتمعات والانظمة بحـــيث لا تشـــعر بالحـــيف على مغادرته ودخول مرحلة التعليم الألكتروني بشـكل كامل كما يرى بعض المستقبليين .

ان ابـتعاد التعليم عن اسـوار المدرسـة واقـــتصاره على الشاشات عبر العالم الإفتراضي يعرّض التربية الى الزكام ، وعندما تصاب التربـية بـالزكام يضطرب العقـــل ويخفق الوعي ويتصدع التفكير ، وعندما يتصدع التفكيـر يعطـي نتائج انية مرحلية انفعالية ، واذا استخدم الإنسان حوّاسه للتفكير بدل عقله اصبح اقرب الى المادّة منه الى الروح.

قبـل مجيىء الإسـلام لم تكن "الأمية" تشـكل نقـصاً أو عيبـاً يؤثر على شـخصية الفرد في المجتمع ، كما انها لم تكن ضمن اجندات القبائل والحكّام للتخلص منها ، ومع مجيىء الإسلام بدأت مرحلة جديدة تستلزم بدء مشروع التعليم ، ولم يدَّخر نبـي الرحـمة جهدا للوصول الى ذلك حتى وجدناه يستخدم في الحـرب معادلة جديدة عندما

اعطى كل اسيرٍ مشركٍ متعلمٍ حريته مقابـل تعليمه عدداً من المسلمين القراءة والكتابة ، بهذا اصبـح التعليم حقـاً واجبـاً على كل شـخص ، فهل يبقـي التعليم الالكتروني على هذا ..؟ او ان التعليم سيصبـح حقـاً منوطاً برغبـة الشخص وليس واجباً عليه !!

من شان الدراسة بـعيداً عن اسـوار المدرسـة وبسبـب ظروف الجائحـة ان يعطي المجال لتغيير مفهوم الحـق الواجب الى مفهوم الحق الكيفي للشخص ..

لا يخفى ان هناك فارقاً بـين الحـلول المؤقـتة والحـلول الدائمية ، فمن غير الملزم ان يصلح الحـل المؤقـت لأن يكون حلاً دائمياً . في ظروف جائحـة كورونا ادَّى التعليم الألكتروني دورا زمنياً مهماً في حـفظ العمر الدراسـي للطالب عندما اقتضى الأمر من باب السلامة التزام الناس بـيوتهم وتجنبـهم العلاقـات الإجتماعية التي كان من بـينها تواجد الطلبـة داخل اسـوار المدرسـة والمعهد والكلية فقد مثلت الشاشة حلاً مرحلياً مقبولاً ، ولكن هل

يحـلّ التعليم الألكتروني محـل المدرسـة في السـنوات القـــــــادمة ولماذا ؟ هل يمكن توفير ثلاثية - المعلم ، الطالب، المنهج - خارج اسوار المدرسـة ؟ وما مدى نجاح ذلك ؟ هل يخدم هذا النجاح جانباً دون آخر ؟..

ان اهم دور تقوم به المدرسة هو التربية ، وعملية التربـية لا يقتصر نشاطها داخل المدرسـة فقـط ، فالبـيت يقـوم بعملية التربـية ومع ذلك لا يمكننا ان نصنف البـيت على انه مدرسة .

يقول المتصوف الإيراني شمس الدين التبـريزي (١١٨٥-١٢٤٨) (يوجد في هذا العالم معلمون مزيفون اكثـر عـدداً من النجوم في هذا الكون المرئي. فلا تخلط بـــــــين الأشخاص الأنانيين الذين يعملون بدافع السـلطة وبـين المعلمين الحقيقيين . فالمعلم الروحـي الصادق لا يوجه انتبـاهك اليه ، ولا يتوقـع طاعة مطلقـة له أو اعجابـاً تاماً منك. بل يساعدك على ان تقدر نفسك الداخلية وتحترمها . ان المعلمين الحقيقيين شفافون كالبلور ، يعبر نور اللـه

من خلالهم).

لا يرى لودغر ووسمان استاذ الاقـتصاد في جامعة ميونخ ومدير مركز (إيغو) لأبحـاث الاقـــتصاد ، ان التعليم عن بعد بديل جيد للتعليم التقليدي ، ويقول مايكل سميث ، اســـــتاذ تكنلوجيا المعلومات والتســـــويق في جامعة كارينغي ميلون : ان الجامعات ستبقى كما نعرفها ولكنها ستفقـد المكانة التي كانت تحـظى بـــها قبـــل تفشـــي الفيروس .

بـعد نجاح تجربـة اسـتخدام روبـوت في تدريس اللغات وبعض المواد الدراسية الأخرى في الصين وبـعض الدول الاسكندنافية ، يتجه الحديث صوب اعتماد الروبـوت في التعليم الرسمي اذ تشير بعض التوقعات الى ان ٩٠% من جامعات امريكا ستلغي قاعات المحاضرات وتتحـول الى جامعات رقمية في حدود ٢٠٣٠م.

تضفي الطبـيعة البشـرية على حـــياة الشـــخص بـــعداً إجتماعياً بحيث يخضع تكوين شخصيته الى حـد كبـير

لتأثير علاقـاته بمحـيطه الإجتماعي ، بـــمعنى ان العزلة تعيق نمو الشخصية . قـد يظن البـعض في اجواء تفشـي الوباء ان الجو الأسري يمكنه ان يكون بديلاً عن "التباعد الإجتماعي" المفروض ومن ضمن ذلك المدرســـة ، لكن الفترة التي اكمل فيها التلاميذ دراســـتهم عن بـــعد من خلال الشاشـــة بـــيّنت ان اقـــتصار التعليم على تلقـــي المعلومات فقـــط وان كان ذلك يتم على درجة جيدة من الإتقان ، إلا انه كشف عن خلل في بناء الشـخصية يشبـه الى حدّ ما تأثير العزلة ، ومن تداعيات هذا الخلل الشـعور بالملل ففي سـؤال وجّه الى عدد من التلاميذ الأذكياء ما اذا كانوا يحبون المدرسة على الطريقـة الالكترونية كانت اجابـاتهم " كلا " . يمثل البـيت مجتمعاً صغيراً يحـتاج افراده الى الإتصال بـالمجتمع الكبـير اتصالاً حـيوياً ، مع الأخذ بنظر الإعتبار ان المجتمع الصغير "الأسـرة" وفي ظل التدهور الإقـــتصادي الناتج عن وبـــاء كورونا لم يعد قـادراً على اداء دوره كما في السابـق . يقـول الفيلسـوف

الفرنســـــي فيليب هـ فينكس : (نســـــتطيع ان نميز وسـيلتين مختلفتين للمحـافظة على الثقـافة ونقـــلها : احداهما استعمال الأنواع المختلفة من السجلات الدائمة التي ينظر اليها على انها ذكريات مسـتمرة عن الماضي ، فالمبـاني والكتب والمصورات وادوات الصناعة وانتاجها ، وغيرها من انواع الحضارة الغنية الباقـية يمكن تجميعها في مؤسسـات كدور الكتب والمتاحـف ، هذا اذا لم تترك على حـالها الأصلية ويحـتفظ بـها كدليل ابـدي على ما انجزه الماضي. اما الوسـيلة الثانية فعن طريق التربـــية ، حيث يحـتفظ بـالتراث الإنسـاني ، لا في خزائن ميتة لا حياة فيها ، بل في الأحياء من الناس ، فعن طريق التربية يصبـــح الأفراد المعاصرون مجســـمات حـــية لحـــكمة الماضي، وذكريات من الدم واللحم للتقاليد الثقافية . ولو نظرنا الى الإحتفاظ بالسجلات الدائمة غير الحية للماضي لوجدنا انها لا تحـــافظ على الثقـــافة الا ان هناك افراداً مثقفين متعلمين ادركوا معنى هذه الخزائن وهكذا يبدو

ان الطريقة الوحيدة في النهاية للمحافظة على مكاسب الماضي هي ان نجعلها من لحمة شخصيات كل جيل لاحق وسداها وهذا هو الواجب الأساسي للتربية) (١) .

كانت المدرسة تشكّل معوّقا كبيراً لدى كثير من الفقراء ممن يحتاجون وقت المدرسة لعمل اولادهم بسبب ظروف المعيشة المتدنية ، وكان المجتمع يشكو قبل كورونا من ظاهرة انقطاع أو تغيب أو هروب الأولاد من المدرسة ، ومع مجيىء الوباء بان الضعف الإقتصادي وحلّ التعليم الألكتروني بديلاً عن المدرسة ، وفي مثل هكذا ظروف تنطفىء كثير من الأضواء التي كانت مسلطة على الدراسة والعلم والثقافة ..

اشترك غياب المدرسة كحلقة فاعلة من حلقات النمو الطبيعي في المجتمع ، مع عوامل اخرى في انتاج كتل

١- كتاب فلسفة التربية - فيليب هـ فينكس - ترجمة د. محمد لبيب النجيحي - ص٦٠ - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٥م .

بشـرية تفتقـر الى الغذاء المعنوي والنفسـي والثقـافي ، وبذلك يقـتصر ارتبـاط الفرد بـالمجتمع على بـعد مادي تحرّكه الأرقام والمعادلات الرياضية بحيث تحل مفردات الفهلوة والإسـتغلال محـل الحـكمة والرحـمة ، عندها يصبـح المال هدف الوجود في الحـياة . وعندما يصبـح المال هدف الإنسـان فإنه يكرّس وجوده ومعرفته في سبيل استحصاله والدفاع عنه فتمضي الحـياة في طريق مغلق ينتهي نهاية قـارون عندما انحـرف عن موسـى معتمدا لغة المال منهجاً وهدفاً ، حتى اذا ما تعاظم شـأن هذه القوة الى الحـدّ الذي لا يكفي فيه جهد موسـى ومن معه في احداث التغيير ، تولّت الإرادة والإدارة الإلهية ذلك (فخسفنا به وبـداره الأرض) (١) وعندما كان المال هدف قابـيل لم يتقـبّل الله قربـانه الذي كان اردأ ما عنده من انتاج زراعي ، بينما تقـبّل قربـان اخيه هابـيل الذي كان المال وسيلة عنده فقدّم افضل ما عنده من الماشـية، مع الأخذ بنظر الإعتبار ان هابيل وقابيل كانا موحدين ، وقـد

١- سورة القصص - آية ٨١

نجد اليوم كثيرين ممن يسجدون للـــــــــه في ظاهر عبـــاداتهم لكنّهم يســـــجدون لغيره في داخلهم . ان التوحـــيد الســـليم الخالي من أي شائبـــة يمثل مدخلاً صحيحـاً ضرورياً لمعرفة الذات وبـــناء الشـــخصية وفهم الحياة وتدبير شؤونها . لكن الخطورة المحتملة مستقبـلاً تكمن في اســتخدام التوحـــيد مشـــروعاً لأهداف مادية تتحرك فيها الأنانية والعنصرية في مجال انساني سلمي .. يتأثر التعليم بـــالأوضاع السياســـــية والإقـــــتصادية والإجتماعية ، وبتتبـع هذه الأوضاع نجدها مضطربـة في كثير من بلدان العالم العربـي . ففي العراق اســتمر تردي الأداء السياسي لاكثر من عقد من السنين وتراجع الوضع الإقتصادي من (ميزانية إنفجارية) بـعد ٢٠٠٣م ليصل الى التجاوز على رواتب المتقـــــاعدين والموظفين . اما الوضع الإجتماعي فهو وضع مخترق ومهدَّد منذ ان قـــفز من الممنوع المغلق الى المبـــــاح المفتوح فيما يتعلق بالتواصل والعلاقات الإجتماعية ودور الموبايل والإنترنت

والعالم الإفتراضي بـــمختلف تطبيقـــاته ، وما ســـجلته الإحـصاءات من ارتفاع في معدلات الطلاق وانتشـــار في حـالات مرض التوحـد عند الأطفال وارتفاع في معدلات البـطالة بـين الشبـاب وضبابـية الأجواء الثقـافية العامة والأفكار المتنوعة والدعوات الى غرف الدردشـــــــة في مجالات الدين والإلحـاد والعلمانية والإقـتصاد وحقـوق الإنســـان والتســـلية وعروض الأزياء ومراكز التجميل ومراكز التنحـــــيف ومواقـــــع العنف الديني والتطرف ومحـــاضرات تجنيد العقـــول وإثارة النفوس ، وفي اطار الوطن الواحـــد والدين الواحـــد اشـــتغلت اجندات على تفريق المجتمع وتمزيقـــه الى تجمعات وكتل بشـــــرية ودفع الاف الشبـاب ارواحـهم ثمنا لهذه الفوضى . واظهر واقع التعليم عجزاً واهمالاً وقصر نظر وُصمت بـه الانظمة المتعاقبة على حكم البلاد كشفه واقـع مبـاني المدارس التي ازدوجت على نفسها لتظم بناية تقليدية قديمة اكثر من مدرسة في الوقت نفسه ، ولا شك في ان القـصور في

تدارك مثل هكذا مشـاكل ومعوقـات يشـير الى خلل في المنظومة الفكرية والأخلاقية للقائمين على ادارة العملية التربوية في البلاد أو ربما تدخل اسبـاب سياسـية تمنع تنفيذ الرؤى الفكرية للقـائمين على العملية التربـوية ، وربما مراحل التنفيذ تتحمل اسباب الفشل ، فقد انتشـر وباء المقاولات الوهمية في البـلاد مع المرحـلة الجديدة التالية لسقوط النظام السابـق ، وهدرت اموال طائلة على انجازات وهمية او سطحـية ، وعرضت بـعض القـنوات الفضائية مشـاهد لمدارس من الطين لغاية وقـتنا هذا ، وهذه الأمور بمجملها تسجل فشلاً فكرياً وثقافياً وتربـوياً في تاريخ هذه المرحـلة المظلمة على الرغم من عناوينها الداعية الى الديمقـراطية والتطور والإنفتاح وما الى ذلك . وجرّاء ذلك لا نستغرب ارتفاع نسبة الأمية في البـلاد الى ٣٤ % وهذه الزيادة في نسبـة الأمية مع الإهمال الحـكومي لقـطاع التعليم وللحـركة الثقـافية في البـلاد وازدياد حالات التدهور في العلاقات الإجتماعية والتفكك

الأسري بوجود اشـخاص في السـلطة يحـملون مؤهلات علمية وشـهادات جامعية عليا . عاش معظمهم سـنوات طويلة من حياته في المهجر ودول اللجوء وهو ما يقتضي تعرفهم واحتكاكهم بقوانين وتطبيقات انظمة تلك الدول والتي كان يفترض بهم نقلها الى العراق بعد ٢٠٠٣م لكن الواقع مخيب للآمال الى حدٍّ بعيد جدا تسبب في تفكيك الأسرة وتدني مستوى التعليم وتفشي ظاهرة الإستنساخ التعليمي والأكاديمي حـيث يسـتخدم الطالب الأنترنت لنسـخ مادة ما في بحـث يقـدمه ليحـصل على علامات وامتيازات ودرجات علمية كما اسهم الوضع الإقـتصادي المتدهور في ظهور طلبة دراسـات عليا يعدون بحـوثهم واطاريحهم بجهود اخرين مقابل مبالغ مالية ثم يحصلون على الدرجة الأكاديمية بالتنسـيق مع لجنة الإشـراف والمناقشـة في الجامعة . فرضت هذه المناخات الملوثة على المواطن ان ينقسـم على نفسـه الى قسـمين لا يرتبطان ببعضهما ولا يتصلان. قسم يعيش واقـعه الذي

وجد نفسه فيه ، وقسم يغترب عن واقـعه . وتأزمت بـذلك حالة الإزدواجية في الشخصية وتهددت محاولة الشبـاب اثبـــات ذاته والبحـــث عن شـــخصيته في زمن تنوعت وتشعبت وتعقدت فيه مصادر البحـث المعتبـرة ، يقـول محـمد عابـد الجابـري (اما من حـــيث الكيف فلعل اول المظاهر السلبـــية التي يجب ابـــرازها هو ان التعليم في جميع الأقطار العربية تعليم لا يتوافر على القدر الضروري من الوحـدة والانسـجام مما يجعله يكرس ظاهرة انفصام الشخصية الثقافية وازدواجها) (١) ...

كتبت احدى الصحف الاردنية (اذهبوا الى الاردن فلديها وزير لا يرسب عنده احـد) في حـديثها عن نظام طبقـته وزارة التربية الاردنية لأول مرة حيث الغت مبدأ الرسوب واسـتعاضت عنه بمبـــدأ اعتماد مجموع العلامات الكلي للمواد فالذي لديه مجموع عالي يمكنه الإلتحاق بكليات الطب والذي لديه مجموع اقـل يلتحـق بـالكليات الأدنى

١- كتاب إشكاليات الفكر العربي المعاصر - محمد عابد الجابري - ص٧٠ - ط٨ - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ٢٠١٩م

حسب نظام القبـول وتقـول الصحـيفة ان هذه الطريقـة تسبّبـــت في ٥٠ الف طالب وطالبـــة زيادة في اعداد الناجحين كل عام.. يضاف الى ما سبـق ان نظام التعليم في المدارس لا يعالج ازدواجية الشخصية وحسـب ، بـل ربـما يسـهم في تأصيلها فهو نظام يستنسـخ نفسـه منذ سنين طويلة ، ففي العهد البائد كان صوت الرصاص يملأ اذان التلاميذ في ساحـــات المدارس يوم الخميس في مراسيم رفع العلم حيث يتوسط الساحة احـد البـعثيين بلباسه الزيتوني وهو يمسك ببندقية وقـد اوكل الى احـد تلاميذ المدرسة المتفوقين بالضغط على زناد السلاح بعد ان يكمل تلاميذ اخرون رفع العلم العراقـــــي فيهتف الحضور بحياة الوطن والقائد ، ثم تبعه اخفاق الحـكومات والأنظمة الإدارية بعد عام ٢٠٠٣م ليكون سبباً في ظهور المدارس الأهلية التي رافق ظهورها ترســـــيخ فكرة الطبقـــية في المجتمع اكثر من ترســـيخ فكرة التطور المعرفي .. وهناك مشكلة المشرف التربوي التي اسـهمت

بشكل او بآخر في تراجع التعليم فبحكم ما آلت اليه ظروف البلاد من تدهور سياسي واضطراب امني واقتصادي ونفوذ احزاب وتكتلات وفاعلية العلاقات الشخصية ودورها في فرض اشخاص غير كفوئين او مؤهلين لمرتبة الإشراف التربوي ومطالبة المدارس بالتعاطي معهم كأن يخلي مدير المدرسة مكانه للمشرف وقت زيارته له حتى وان كان هذا المشرف يوماً ما معلماً فاشلاً في المدرسة ، انعكس هذا ايضاً على نمو العملية التعليمية واصبحت مدارسنا كباقي مؤسسات الدولة عبارة عن جهات روتينية رتيبة تستنسخ ايامها ولا تنظر الى مرآة الثقافة الحقيقية ولا حتى الى المستقبل من خلال الواقع . وعلى مستوى المادة العلمية المقدمة للتلاميذ في مناهج وزارة التربية العراقية لعلي اكتفي بالاشارة الى التفاوت الذي لاحظته على مادتي الرياضيات والعلوم للصف الثالث الإبتدائي ففي مادة الرياضيات يتعرف التلميذ لأول مرة على المستقيم

والخط المستقـــــيم وفي مادة العلوم في موضوعة الكرة الارضية تعريف لمحـور الدوران بـأنه خط وهمي ، فكيف ســـــيفهم التلميذ معنى الخط الوهمي وهو يتعرف للتو على الخط المستقيم وكيفية رسمه على الورقة !!.. وهناك مشـكلة اهمال البحـث العلمي في المدرسـة فقـــد كان المعلم في الماضي يكلف تلامذته بكتابة موضوع خارجي ويعلمهم كيف يســـتعينون بمكتبـــة المدرســـة وكيف يكتبون موضوعاً . لم يعد هذا موجوداً وحتى ان وجد هنا وهناك فإنه يخضع لتأثيرات الواقـع الجديد الذي يعيشـه المجتمع ، فاذا طلب المعلم من تلاميذه موضوعـاً فإنهـم سيلجأون الى الإنترنت مباشرة أو من خلال ذويهم الذين لا يمتلكون في اغلب الأسر العراقـية رصيداً ثقـافياً كافياً يمكنهم من التحـرك في هذا المجال بالشـكل الصحـيح الهادف الذي يضمن ســـــلامة شـــــخصية التلميذ من الإزداوجية المستقبـــلية التي تنتظره .. تعاني الكثير من المكتبات العامة الإهمال وبلغ التدهور العام حـدًّا ببـعض

الجهات الرسمية والإدارية ان قررت استثمار المكتبات العامة لتحويل واجهاتها الى محال تجارية كما في قرار مجلس محافظة بغداد في شهر تموز ٢٠١٨م. وعلى الرغم من تردي مستويات كثيرين في مواقع صنع القرار في حكومات ما بعد ٢٠٠٣م كان ولا يزال هناك مستويات متمسكة بالقيم العليا في طبقات المجتمع مثل السيدة (عالية محمد باقر) امينة مكتبة البصرة المركزية التي قامت سنة ٢٠٠٣م بنقل كتب المكتبة على مسؤوليتها بعد رفض محافظ البصرة في حينها طلباً تقدمت به لنقل الكتب الى مكان آمن بعد ان وضعت قوات النظام مضادة طائرات على سطح المكتبة قبيل فترة الإضطراب الأمني السيء التي عصفت بالبلاد ، حرصاً منها على مقتنيات المكتبة من ان تطالها يد التخريب ، يذكر ان صحيفة نيويورك تايمز ذكرت قصتها وادرجت ضمن منهاج بعض المدارس الاوربية ، فارقت هذه الإدارية المميزة عالمنا متأثرة باصابتها بوباء كورونا .

ان طريقـــة توزيع الكتب المدرســـية في بـــداية العام الدراسي ثم استردادها نهاية العام يسهم بشـكل او بـآخر في ترك انطبـاع لدى الطالب ان علاقـته بـالكتاب علاقـة مرحـلية مؤقـتة تنتهي بـالنجاح في الإمتحـــان النهائي والحـصول على الشـهادة. اسـهمت هذه الآفاق الضيقـــة والروتينية في افتقار العملية التعليمية الى الوعي المهني في شـــخص المعلم والمدرّس والأســـتاذ الجامعي والى الحـرص من قبـل الطالب ، من خلال وقـوعهم في اسـر منهج دراسي غير خلاّق وهو ما جعل الجامعة والمدرسـة عبـارة عن منابـر ثقـافية اجترارية لا تؤثر في الواقـع ولا تسهم في تنمية ثقافة المجتمع وصناعة وعي الناس ..

(اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم..)

سورة يوسف الاية ٥٥

ان إدارة الإقتصاد والمال تحتاج الى شـرطين أساسـيين ذكرهما القرآن الكريم في قصة يوسـف عندما تزامن في مصر وجود ملك لا يُقرُّ بعبـادة الأصنام مع بـدء المرحـلة العلنية العملية لمشروع النبـي يوسـف الديني الإنسـاني الذي كانت رؤيا الملك عن البقـرات والسنابـل سببـاً في اعلانها ، فبعد ان اقتنع الملك بتعبير يوسف لرؤياه اختاره الى جانبـه ، فطلب منه يوسـف النبـي ان يجعله وزيراً للمالية بعد ان قـدّم مؤهلاته لهذا المنصب (اني حـفيظ عليم) فقـدّم الأمانة على العلم ، حـيث الأمانة صفة ذاتية والعلم صفة مكتسبـة ، وصفات الذات تتكون من ارتبـاط النفس بمنظومة قيم تنتجها ارض خصبة مدَّتها السـماء بـماء خالط جيناتها النقـية فأثمرت سـلوكا طيبـاً وعملاً صالحاً وافكاراً إيجابـية ثم جاءها العلم لتمضي في طريق الخير وهي واعية مدركة ، وشـاءت الطاف الله ان يكون

ايمان ملك مصر بـاعثاً لوعيه ، فبـعد ان نجح يوسـف في إدارة إقتصاد مصر زادت شعبـيته وتعلق الناس بـه وكان من شـأن ذلك ان يفتح للشـــيطان بابـــاً الى نفس الملك خشية ان يستخدم يوسف مخرجات المرحـلة ليصل من خلالها الى الحكم ، لكن العكس هو ما حـصل فقـد اعلن الملك انه لم يعد يعبـــــد (آمون) الصنم الذي عكف عليه الناس في ذلك الوقت ، واعلن ايمانه بـرب يوسـف ومضى الناس معه على دين الله فأزدهرت احـــــوال مصر وعمّ الرخاء . وفي قصة اخرى كان (طالوت) ملكاً عادلاً مؤمناً حـكم اليهود وانتصر لهم من اعدائهم واستقـر له الحـال، واصبح النبي داود مقاتلاً في ركبه وزوجاً لابـنته ، ولقـي الجند منه خلقاً حسـناً وطيبـة نفس وعلو همّة . فكان ان حدّثت (طالوت) نفسه لحظة انشغاله عنها ان (داود) قد يأخذ مكانه في الملك . علم (داود) من زوجته بما يعتلج في صدر أبيها فخرج بأهله الى مكان بعيد لا يعلمه سوى نفر قـليل ، ثم التفت (طالوت) الى ما احـدثته فيه غفلته

عن نفسه فندم على ما خالطها من لوث فهام على وجهه في الأرض يطلب المغفرة من الله ، وجاء القوم بـ (داود) من معتزله ليمسك بزمام الأمور في البلاد ..

دعا نبي الله نوح قومه الى نظام عالمي يقوم على ثلاثية (اعبدوا الله - اتقوه - اطيعوني) عبر شبكة عالمية هي الإستغفار ، توفر لهم مزايا كثيرة في قوله تعالى ((يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)) (١) ، لكنهم اعرضوا عنه ، فأوحى الله الى نبيه (فأوحينا اليه ان اصنع الفلك بأعيننا ووحينا) (٢) .. فكان الطوفان إيذاناً ببداية مرحلة جديدة في حياة الانسان ..

عندما حاول النبي نوح جاهداً إصلاح نظام العالم في ذلك الوقت جوبه بالمتسلطين على الجو الغالب للناس فحاججوه بما لديهم من منزلة وعقل وبعد نظر ومعرفة وتقرير مصير ، فظنوا ان (نوح) ومن معه يكذبون عليهم

١- سورة نوح - الآيات ١١ - ١٢

٢- سورة المؤمنون - آية ٢٧

ويريدون ان يصادروا ما معهم من نفوذ وسلطان ومصالح ومكتسبات ، وتأزم الحال بينهم واستنفذ نوح ما عنده من وسائل إقناع فعرض الأمر على ربّه (ربي اني دعوتهم ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي الا خسارا..) (١)

وجاء التدبير الإلهي لإعلان نظام عالمي جديد إذ أوحى الى نبيه ان يبني السفينة (ان اصنع الفلك بوحينا) وطوال فترة بناء السفينة التي تذكر المصادر انها استغرقت اكثر من خمسين سنة كان الوقت لصالح الناس لعلهم يهتدون . لم يكن الناس قبل مجيىء النبي نوح يشتكون حياتهم لكنهم كانوا يفتقرون الى الإيمان . اذن لا يكفي ان تنعم المجتمعات بتوفير احتياجاتها وتأمينها وضمان مصادرها ، ففي مراحل متعددة من عمر البشرية كان هناك اقوام يتمتعون بذلك لكنهم عوقبوا ، فقوم (عاد) الذين عاشوا بين اليمن وعُمان ، كانوا في رغدٍ من العيش ، حيث خيرات الأرض ووفرة المياه وازدهار

١- سورة نوح - آية ٥

الزراعة وعمران البـــــيوت وكانوا فضلاً عن ذلك ينعمون بأجسام قوية معافاة ..

في مدينة سبأ في اليمن قصٌّ علينا القرآن قصة قوم كان المال محوراً أساسـياً في حـياتهم ، بـه يطوّرون زراعتهم ويكثّرون ثمارهم ويبـنون بـيوتهم ويلبّون احـتياجاتهم حتى صارت الطبيعة مصدر قوتهم ، قال تعالى(لقـد كان لسبإٍ في مسـكنهم آية جنتان عن يمين وشـمال ..) (١) ، افتقر هذا الرخاء الإقتصادي الى حاجته لشبـكة اتصالات تجمع بين المرء ونفسه ، وبينه وبـين ربّه ، وبـينه وبـين الآخرين . (كان الماء ياتي أرض سبـــأ من اودية اليمن وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسـيول بـينهما ، فسدّوا ما بـين الجبـلين ، فإذا احـتاجوا الى الماء ، نقبـوا السدّ بقدر الحاجة ليسقوا زروعهم وبساتينهم .. فتحـولت الجنائن الغناء الخضراء الى اشجار لا تغني شـيئاً ، فليس هناك الا الشوك (وشيء من سدر قليل) وهو النبق الذي لا

١- سورة سبأ - آية ١٥

يأكله إلا حيوان جائع او انسان اضناه الفقر والعوز..) (١) ..

وجاء قـوم ثمود فســكنوا مكان قــوم عاد فعمروا الديار واعادوا الحـياة اليها وصاروا في ســعة من العيش ، ثمّ مرّ بـهم ما مرّ بقـوم عاد من قبـل فنسـوا اتصالهم بانفسـهم ونسـوا الله فعبـدوا الأوثان من دونه (ولا تكونوا كالذين نسـوا الله فانســاهم انفســهم اولئك هم الفاسقــون) (٢) فأنذرهم النبــي صالح بــعذاب الله ، لكنهم توهموا انهم اسرع الى غيهم من رشد النبي صالح فكادوا به ..

١- تفسير (من وحي القرآن) - العلامة السيد محمد حسين فضل الله
٢- سورة الحشر - آية ١٩

دعوات الأنبياء والأعراف الإجتماعية ..

تذكر كتب التاريخ والتفاسير بأن (ود) هو اول صنم عُبد من دون الله في الأرض . وكان (ود) رجلاً صالحاً محبوباً في قومه حسب حديث الإمام محمد الباقر عندما سُئل عنه ، ثم عمد القوم بعد موته الى نُصب يستذكرونه به ولم يكونوا يعبدوه لكن الأجيال اللاحقة اتخذته إلهاً ، فأرسل الله نبيه نوح ليعيدهم الى التوحيد ، لكنهم رأوا نوحاً في ضلال ولم يستوعبوا دعوته الى إله واحد ، فهل بلغ تأثر القوم بـ (ود) حدَّ تعلقهم الظاهري والعاطفي بشخصه دون آثاره ومنجزاته ؟ وماذا كانوا يستحضرون وهم يذكرونه حتى استغرب ابناؤهم دعوة النبي نوح لهم لعبادة الله الواحد ؟

اكثر من عشرة قرون أو عشرة اجيال حسب المصادر كان الناس فيها على التوحيد حتى حصل ما حصل في قوم نوح . فما الذي جعل إرث هذه القرون أو الأجيال يندثر فينحرف الأبناء عن التوحيد ويتخذوا اصناماً للعبادة ؟

يبدو ان إرث (ود) الذي احتفظ به القوم كان في الجانب الإجتماعي اكثر منه في الجانب الإيماني فتعلقـــــهم الشـديد بـه من جهة واستغرابـهم دعوة النبـــي نوح الى عبـادة الله من جهة اخرى يفيد بـــأن ســـيرة (ود) كانت اجتماعية نقية فكانوا يجدون حـياتهم طبـيعية منتظمة وهم يعملون بوصايا ود واقواله .

ان تعاقـــــب الزمان على وتيرة واحـــــدة لم يعاني فيها المجتمع من وجود مشاكل تحـفزهم وتثيرهم وتدعوهم الى إعادة النظر والى اعادة التنظيم والتفكير قـد اســـهم في نمو جيل داخل قـــــالب اجتماعي روتيني اعتيادي مألوف بـــــغض النظر عن ماهية ذلك القـــــالب ، ولذلك استغربـوا من دعوة النبـي نوح فرفضوها ولم يقـــف الأمر عند هذا الحد بل ذهبوا الى اتهامه بالضلال (انا لنراك في ضلال مبـــين) (١) ﴿ وكان كلما انقـــرض جيل وصوّا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربـته ومخالفته . وكان الوالد

١- سورة الأعراف - آية ٦٠

اذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه وصّاه فيما بينه وبـينه ان لا يؤمن بنوح ابدا ما عاش ودائماً ما بقي) (١) .

وكانوا يوصون بـــالتزام الآلهة الخمســـة المذكورين (ولا تذرنّ ودًّا ولا سـواعاً ولا يغوث ويعوق ونسـرا) (٢) . يقـول عنهم (سيد شبّر) في تفسيره (هي اسـماء قـوم صلحـاء بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليقتدوا بهم ، ثم عُبـدوا ، ثم انتقلت الى العرب) ويبدو ان اقتداء القوم اقـتصر على آثار اولئك الصالحـــين حـــيث كانوا يحـــدّثون ويوصون ويعلّمون اولادهم : يقول ود .. يقول سواع .. وهكذا ، ولما مرّت الأزمنة واقتضت مشيئة الله ان يلبث فيهم نبيه نوح (الف سنة إلا خمسين عاماً)، فإن هذه الأجيال من أبـناء واحفاد ورثوا وصايا آبائهم بالتزام الآلهة.

ان ضياع الحـق واعتياد الناس على قبـول واقـعهم الناتج عن ذلك الضياع ، حـــوّل اولئك الصالحـــين مثل (ود) الى

١- قصص الأنبياء - ابن كثير - ط١ - ص٦١

٢- سورة نوح - آية ٢٣

مصادر الهية في أعرافهم فالتزموهم ورفضوا أي محاولات تغيير، ويبدو من قول النبـي نوح (ربـي اني دعوتهم ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فرارا) (١) انه قد بـذل جهوداً كبيرة جداً طيلة السنوات التي لبـثها فيهم ، ومع ذلك لم يتمكن من نقل مداركهم الى مديات اوسـع من الحـدود التي كانوا يتحـركون ضمنها وكانوا يجدون في انفسـهم نظراء كفوئين وعقلاء مدركين وهو ما دفعهم لأن يقـولوا لنوح (وما نرى عليكم مـن فضـل..) (٢) ، وجـاء الطوفـان ليقـضي على جميع الكافرين وينجّي المؤمنين لتبـدأ مرحلة جديدة استمرت نقيَّة حـتى قـوم عاد الذين كانوا عربا وكانوا اول من عبد الأصنام بعد الطوفان .

استغرب قوم عاد مثلما استغرب قبـلهم قـوم نوح ، كيف يبعث الله بشراً رسولاً ، فقد قـالوا لنوح (ما نراك إلا بشـرا مثلنا) وقال النبـي هود لقـوم عاد (او عجبـتم ان جاءكم ذكر من ربـكم على رجل منكم لينذركم ..) (٣) والغريب

١- سورة نوح - آية ٥
٢- سورة هود - آية ٢٧
٣- سورة الاعراف - آية ٦٣

ان قوم عاد قالوا لـ(هود) (اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ..) (١) يقول السيد محمد حسين فضل الله : ما معنى هذه الدعوة التي جئتنا بها ؟ ان معناها ان نتنكر لقدسية تاريخ الآباء في ما يعتقدون ويمارسون من طقوس وعادات .. وتلك قضية تهدم البناء الاجتماعي للعشيرة القائم على اساس حرمة التاريخ) ، فمن اين جاءتهم عبادة الأصنام وقد قضى الطوفان على الذين كانوا يعبدونها . تذكر المصادر ان النبي هود من نسل سام بن نوح ، وان قوم عاد هم من نسل سام بن نوح ، وفي بعض المصادر ان هود يرجع الى سام بأبوين اثنين او خمسة ، وعاد هو ابن عوص بن سام بن نوح (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى إلا ان قالوا ابعث الله بشراً رسولاً . قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا) (٢)

اصرّ قوم عاد على اعتقادهم وقالوا (ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) (٣) ،

١- سورة الاعراف - آية ٧٠
٢- سورة الاسراء - الآيات ٩٤ - ٩٧
٣- سورة هود - آية ٥٣

بينما طالب قوم ثمود من النبي صالح بـيّنة على صحّة ما يدعوهم اليه كما في الآية الكريمة (فأت بـــآية ان كنت من الصادقين).

اتهم قوم عاد النبي هود بالسفاهة (قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة) (١) .

والسفاهة هي خفّة الحلم . بينما قـوم ثمود وصفوا النبـي صالح (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) .

واتهم قوم عاد النبي هود في عقله (انا لنراك في سـفاهة) بينما اتهم قوم ثمود النبي صالح في نفسـه (انما انت من المسحرين) (٢) (شـرع لكم من الدين ما وصّى بـه نوحـا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسـى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبـر على المشـركين ما تدعوهم اليه الله يجتبـي اليه من يشـــاء ويهدي اليه من ينيب) (٣).

١- سورة الأعراف - آية ٦٦
٢- سورة الشعراء - آية ١٥٣
٢- سورة الشورى - آية ١٣

الدين الكوني ..

ان تصنيف الديانات الى يهودية ونصرانية واسلامية هو تصنيف ارتكبه معتنقوها ، وانما جاء الأنبياء والرسل بالدعوة الى الإسلام . بمعنى ان يُسلم المرء وجهه الى الله وان يَسلم الناس من اذاه كما في الحديث النبوي (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه) وصرَّح القرآن بأن ابراهيم كان حنيفا مسلماً ، فالدين الذي دعا اليه الأنبياء دين كوني يشتمل على اتصال الناس بالله بلغة واحدة هي لغة التوحيد وبقيم ومناهج عمل حياتية مصدرها الأنبياء والرسل (وما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً).

ان بعث الأنبياء في اقوام مختلفة لا يدعو الى الإعتقاد بوقف دين اولئك القوم على ذلك النبي ، ففي تصنيف الناس على اساس ذلك من قبيل القول هؤلاء اتباع موسى واولئك اتباع عيسى وهكذا ، فيه تعطيل للمشروع الرسالي السماوي الذي عرّف صلاحية الرسالة التي بعث

بـها نبـيه الخاتم بـأنها الى الناس كافة (وما ارسـلناك إلا كافة للناس) (قـــل يا ايها الناس اني رســـول الله اليكم جميعاً) الاعراف ١٥٨

(تبـارك الذي نزل الفرقـان على عبـــده ليكون للعالمين نذيرا) الفرقان ١

وعندما تحدّث عن الأنبياء السابقين قال (وما ارسلنا من رسـول إلا بلسـان قـومه ليبـين لهم) يفيدنا ذلك في ان تسلسل بعث الأنبياء قائم على مراحل تفضي كل مرحـلة الى المرحلة التالية لها ، واستخدام لفظة (لسـان قـومه) وليس (لغة قـومه) يعطي للعلاقـــة مع الله بـــعداً تأملياً تشـكّل اللغة اداة من ادوات ذلك (التبـــيين) فعلى الرغم من اختلاف لغات كثير من الأنبـــياء لم يختلف الفهم ولا الهدف .

ان التدرج في إرســـال الأنبـــياء والتنوع في مواصفات وقـدرات ومؤهلات وصلاحـيات ومعجزات كل نبـي انما جاء على وفق ضرورة معرفية ثقـــافية املتها طبـــيعة

المجتمعات كل في زمانه ليهذبوا فيهم عادات وتقاليد وقيم اجتماعية ورثوها عن اسلافهم او اكتسبوها من بيئتهم ، فجاء كل نبي بما كان غالباً على اولئك القوم ، كان عيسى يشفي المرضى ثم هو يحيي الموتى في مجتمع شاع فيه الطب وكثرت فيه الأمراض . وجاء موسى بما يقضي على السحر السائد في ذلك الزمان والمكان . اذن جاء كل نبي لينهض بواقع المجتمع المبعوث فيه من خلال طبيعة ذلك المجتمع والصفة الغالبة عليه واقتضى الحال في مجتمعات اخرى ان يكون نبيهم حاكماً كما حصل مع سليمان وداود ومحمد صلوات الله عليهم.

قال تعالى (وكلا نقصُّ عليك من انباء الرسل ما نثبت به قؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظةٌ وذكرى للمؤمنين . وقل للذين لا يؤومنون اعملوا على مكانتكم إنّا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون) هود ١٢٠/١٢٢

ان الوقـوف على مجريات احـداث الأمم والشـعوب السابقـة ومتابعة التغييرات والتطورات التي مرّت على البشرية بظهور الأنبياء والصالحين ستعطينا فهما معمقـاً لما نحـتاجه اليوم في دراستنا للإنسان وستختصر علينا كثيراً من الوقت . فمن شأن الإطلاع على الماضي ان يمنحـنا حـياة عمرها مئات أو آلاف السنين في اعمارنا القصيرة اليوم ، وهو ما يمنحنا خبرة غنية واسعة تمكننا من اعداد بنية تحتية سليمة نقيم عليها نظامنا العالمي الجديد . انه من غير المفيد ان نقـــطع صلتنا بالماضي او ان نتصل به في حدوده الزمنية فقط بحـيث نمرّ بأحداثه مرور سائح بمتحف لوحات وآثار قـديمة يسـتمتع بمشـــاهدتها بـــعض الوقـــت ثم يغادر المكان .. يتيح علم الانثروبولوجيا (علم دراسـة الإنسـان) متسـعاً رحبـاً لمثل هكذا اجواء من التواصل بين الماضي والحاضر لتوضيح صورة المستقبـل من اجل ان نعرف اي طريق نسـلك اليه ، لكي لا تمضي بنا مجريات الأحداث الى حيث لا ندري ، أو الى حيث نصبح في مأزق أو حـيرة أو واقـع مفروض قـد لا يتوافق مع طبيعتنا .. يقـول الكاتب الامريكي كارلتون كوون carleton coon (لا يستطيع شعب من الشعوب ان يعيش منفرداً كما

انه لا تستطيع امة من الأمم ان تتجاهل ما يصنعه اهل الأمم الأخرى. فنحن نحتاج - اول ما نحـتاج - الى التسـامح. ولكن التســامح لا يجيىء إلا مع الفهم والفهم لا يتحقــق إلا عن طريق المعرفة التي يتوفر فيها حســـــــن النية..) ويذهب كارلتون الى ان الانثروبولوجيا لا تتعارض مع الدين (ان من شــأن الانثروبـــولوجيا ان تزيد المؤمنين ايماناً اذ انه كلما ازدادت معرفتنا بالنواحي المعقدة من الإنسان وبطرق حياته كلما اصبح ادراكنا اكثر وضوحاً لوجود مبـدأ أسـمى موحـد يسير شؤون الكون ، ومن بينها شـؤون البشـر ولكن الإيمان بـــمثل هذا المبـــدأ لا يعني ان علينا ان ننام منتظرين يوم الفصل فهناك عمل يجب ان يؤدى ، وهو اليوم الزم منـه فـي اي وقـت آخر مضى ، وان العمل الاختياري الخلاق جزء من الخطة الكونية وهو في الحقيقة السر الذي اصبح به الإنسـان ســـيد العالم ان هذا العمل يتطلب الجهد الكبـــير والنظرة المنهجية السليمة لمعرفة انفسـنا ومعرفة غيرنا وهذا امر لن يكون بـدعاً بالنسبـــة للعرب الذين جاء من بـــينهم " ابـــن فضلان " الذي درس أسـلاف الوثنيين لسـكان شـمال غرب

اوربا الحاليين وكذلك ابن بطوطة..) (١)

١- قصة الانثروبولوجيا - د. حسين فهيم - ص٢٠٦ - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - ١٩٨٦م.